الحَيدَةُ

للإمام عبدالعزيز بن يحيى بن مسلم الكناني المكي

المتوفى سنة ٢٤٠هـ

قام بتصحيحه والتعليق عليه

فضيلة الشيخ

إسماعيل بن محمد الأنصاري

عضو دار الإفتاء . سابقًا

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الناشر

دار الصميعي للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية . الرياض . شارع السويدي العام

ص ب: ٤٩٦٧ . الرياض ١١٤١٢

هاتف : ٤٢٥١٤٥٩ . ٤٢٦٢٩٤٥ فاكس ٤٢٤٥٣٤١

عنيزة: أمام جامع الشيخ ابن عثيمين هاتف ٠٦/٣٦٢٤٤٤٨ تلفاكس ٠٦/٣٦٢١٧٢٨

ح اسماعيل محمد الأنصاري ، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المكي ، عبدالعزيز الكناني

الحيدة / عبدالعزيز الكناني المكي ؛ اسماعيل محمد الأنصاري – الرياض ١٤٢٨هـ

١٠٤ ص ؛ ١٤ X ٢١ سم

ردمك : ٢ – ٣٢٤ – ٥٨ – ٩٩٦٠ – ٩٧٨

١– القرآن – دفع مطاعن ٢– التوحيد

أ– الأنصاري ، اسماعيل محمد (محقق) ب– العنوان

ديوي ٢٤٠,٩٠١ ١٤٢٨/٥٢٨٠

رقم الايداع: ١٤٢٨/٥٢٨٠

ردمك: ٢–٣٢٤–٥٨–٩٩٦٠–٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

الناشر

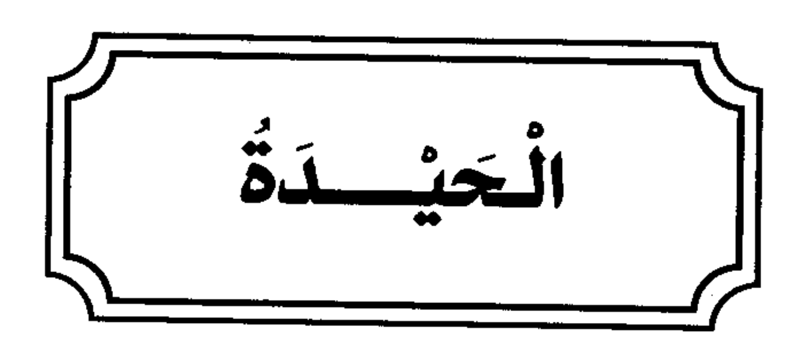
دار الصميعي للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية – الرياض – شارع السويدي العام

ص.ب ٤٩٦٧ الرياض ١١٤١٢

هاتف : ٤٢٥١٤٥٩/٤٢٦٢٩٤٥ فاكس ٤٢٤٥٣٤١

عنيزة : أمام جامع الشيخ ابن عثيمين – هاتف ٠٦/٣٦٢٤٤٢٨ تلفاكس ٠٦/٣٦٢١٧٢٨


الْحَيْـــدَةُ



ترجمة المصحح

نقرأ في هذه الترجمة ذلك الجزء من سيرة الشيخ إسماعيل الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ ومكانته العلمية، ورسوخه في البحث العلمي، تم استخلاصها من كلام أصحاب الفضيلة العلماء، وطلبة العلم؛ حيث قالوا عنه(١):

العلامة المحقق المدقق الناقد المحدث الثبت الفقيه اللغوي المرجع في رجال الحديث(٢): إسماعيل بن محمد بن ماحي السعدي(٣) الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ(٤).

[من بحور العلم] وكاد ينفرد بعلم الإسناد، أخذ العلوم بالتلقي، وعن طريق الرواية والإسناد إلى مؤلفيها، إنه الوحيد الذي لديه إجازات كثيرة في كثير من العلوم(٥)، أما الحديث وعلومه ورجاله فهو فارس

---

(١) استندنا لهذه الطريقة أخذًا بقول الإمام عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء». وما كان من تصرف يسير فإنما هو لربط الأقوال بعضها ببعض لتترجم لنا ذلك الجزء من سيرته رَحِمَهُ اللهُ. كتبه: أ. محمد بن إسماعيل الأنصاري.

(٢) انظر: كلام محمد بن عبدالرحمن آل إسماعيل، في جريدة المدينة ٢٠ محرم ١٤١٨هـ العدد (١٢٤٦٠).

(٣) من ذرية الصحابي الجليل سعد بن عبادة سيد الخزرج رضي الله عنه.

(٤) (١٣٤٠- ١٤١٧هـ).

(٥) «لدي شهادات وإجازات علمية...، ويرجع عدم تحصلي على الشهادات المتمشية على المناهج العصرية إلى أنها لم تكن شائعة زمن تعلمي ولا معروفة وإنما كان الشائع هو طريقة الإجازات من

ميدانه، فإنه يروي بالسند المتصل إلى مؤلفي الكتب صدقًا لا كذبًا[١].

إنه من خيرة العلماء، ومن أهل العقيدة الصافية، والمنهج السلفي السليم، ومن أخلص الناس ولاء لعقيدة التوحيد، وولاء لهذه الدولة السعودية التي قامت على أساس عقيدة التوحيد الخالص...، وهو يعتبر من العلماء النادرين ذوي المكانة العالية عند [سماحة] الشيخ محمد [بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ]...، فكان الشيخ إسماعيل من المقربين عند سماحة الشيخ محمد رحمة الله عليه[٢] لعلم الشيخ إسماعيل وصفاء

الشيوخ». كتبه: فضيلة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ انظر: استمارة حصر الموظفين بالدقة عن آخر محرم سنة ١٣٨٢هـ وزارة مصلحة الإفتاء والإشراف على الشئون الدينية.

(١) انظر: كلام محمد بن عبدالرحمن آل إسماعيل، في المرجع السابق.

(٢) نقرأ شيئًا من ذلك أيضًا في أحد رسائله الشخصية:
من محمد بن إبراهيم إلى حضرة المكرم الأستاذ الفاضل الشيخ إسماعيل الأنصاري - سلمه الله -
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ونرجو أن تكونوا بخير وعافية صحتنا وأحوالنا تسركم، وقد وصل إلي كتابكم، وسرنا وصولكم مكة بالسلامة، نحمد الله على ذلك أما ما ذكرتم من الشكر والدعاء، فالحقيقة أننا مهما عملنا معكم من الجميل، فنجدنا مسرورين بذلك؛ لأنه صادف كفوًا ومحلًا ونسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه ويجمع قلوبنا على طاعته، ومما يؤسفنا أن السنة التي قضيتموها في الرياض لم تتحصل على فرصة تتيح لنا معكم مجلسًا خاصًا؛ نظرًا لما نحن ملزمون به من المشاغل الكبيرة، وأنتم وما شغلتم به من الدروس، ونرجو أن يهيئ ذلك عن قريب، وسلموا لنا على الأولاد ومن لديكم من إخواننا الطلبة، ولدي الأولاد والأخوة جميعا يسلمون،، والله يحفظكم والسلام ١٣٧٤/٨/٢٢هـ.

عقيدته[1].

وفي عام ١٣٨٢ صدر أمر سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بنقله إلى دار الإفتاء[2]؛ ليكون عضوًا من أعضائها، الذين يعتمدهم سماحة مفتي البلاد في تهيئة الفتاوى والمراجعات والمسائل الدقيقة، يتولى تحضير البحوث العلمية[3]، وتحقيق الفتاوى الهامة[4].

عمل طيلة حياته قريبًا من [سماحة] الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ[5]، وكان يثق فيه ثقة كبيرة، ويثق في علمه الغزير، وكان يعتمد عليه في البحوث[6] في بحث المسائل، وتخريج الأحاديث، والكلام عليها

---

(١) انظر: كلام فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، في جريدة المسلمون ٤ ذي الحجة ١٤١٧هـ العدد (٦٣٦).

(٢) «حيث نقله من التدريس في المعاهد والكليات» كتبه: د. محمد بن محمد الأمين الأنصاري، انظر: جريدة المدينة ١٦ ذو الحجة ١٤١٧هـ العدد (١٢٤٢٧).

(٣) «من خيرة العاملين في مجال البحوث العلمية» كتبه: فضيلة الشيخ سعد بن محمد آل فريان ـ أمين عام هيئة كبار العلماء بالنيابة آنذاك ـ انظر: خطاب رقم ٢/٥٠٤ وتاريخ ١٣٩٨/٢/٢٩هـ.

(٤) انظر: ملحق رسالة «تصحيح حديث صلاة التراويح عشرين ركعة والرد على الألباني في تضعيفه»، تأليف: فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي بالرياض. الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

(٥) انظر: كلام فضيلة الشيخ صالح بن غانم السدلان، في جريدة المسلمون ٤ ذي الحجة ١٤١٧هـ العدد (٦٣٦).

(٦) انظر: كلام محمد بن عبدالرحمن آل إسماعيل، في المرجع السابق.

صحةً وضعفًا[1]، كما كان يحيل إليه كثيرًا من الكتب التي تطبع في الإفتاء، ليتولى التعليق عليها، لتصويب خطأ أو توضيح مشكل[2].

وقد كان قلمًا قوي المنهج، وعميق البحث لدار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية في حياة [المفتي الأول] سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله، وفي عهد معالي الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ في رئاسته للإفتاء، واستمر هذا القلم العلمي المدافع عن الحق في رئاسة [المفتي الثاني] سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله. وقد اهتم به سماحة الشيخ عبدالعزيز رحمه الله اهتمامًا كبيرًا، ورأى أهمية مكانته العلمية، ورسوخه في البحث العلمي، واطلاعه الواسع على قضايا العقيدة ومصالح الإسلام والمسلمين، كما كان يدركه فيه المفتي الأول رحمه الله[3].

وقد بقي طوال هذه السنين عاكفًا على البحث والكتابة، والتعقب للمقالات التي تعترض على التوحيد[4]، أو تنقد شيئًا من تعاليم الإسلام، وألف في ذلك عدة رسالات مطبوعة مشهورة في فنون متعددة، ولم يزل

---

(١) ولديه تمكن في علم الجرح والتعديل وعلم الحديث رحمه الله، قاله فضيلة الشيخ صالح بن غانم السدلان، انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: كلام فهد بن عبدالعزيز العسكر، في مجلة الدعوة ٢ محرم ١٤١٨هـ العدد: ١٥٩٠.

(٣) انظر: كلام د.محمد بن محمد الأمين الأنصاري، في المرجع السابق.

(٤) فهو بحق من خيار العلماء.. ومن خيارهم غيرة على عقيدة التوحيد، واهتمامًا بها قاله: فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، انظر:المرجع السابق.

عاملًا في إدارات البحوث العلمية والإفتاء[١].

حيث تربع فيها بكل تواضع وجدارة في البحث العلمي، ويحال إليه كل معضلة وقضية علمية شارحًا وناقدًا ومحررًا، وهو بحق من حفاظ هذا القرن[٢]. خدم العلم سنين طويلة بالتأليف والتدريس في هذه البلاد، واستغرق ذلك جل وقته[٣].

فقام بتأليف طائفة من البحوث العلمية، والردود الحديثية، أيضًا وأعد بحوثًا أخرى لم تنشر، كما حقق كتبًا كثيرة طبعت على نفقة الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وشارك في تحقيق كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعلق وصحح جملة من المؤلفات[٤]، كما أن له العديد من المقالات العلمية المرموقة، نشرها في عدد من المجلات[٥] والجرائد[٦].

---

(١) انظر: كلام فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، في جريدة المسلمون ٤ ذي الحجة ١٤١٧هـ العدد (٦٣٦).

(٢) انظر: كلام د. محمد بن محمد الأمين الأنصاري، في المرجع السابق.

(٣) انظر: كلام سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في خطاب رقم ١٢٥١/ خ وتاريخ ١٤٠٦/١١/٩هـ.

(٤) انظر كلام د. الوليد بن عبدالرحمن الفريان، في جريدة المسلمون ٤ ذي الحجة ١٤١٧هـ العدد (٦٣٦).

(٥) إنني أتابع كتاباتكم يا فضيلة المحب في مجلة المنهل، فأستفيد منها، وأدعو لكم بظهر الغيب، لقد حباكم الله جرأة في الحق، وصبرًا على الملامة. كتبه: فضيلة الشيخ عبدالله الخياط إمام الحرم المكي سابقًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في رسالة شخصية بتاريخ ١٣٨٥/٧/١٨هـ.

(٦) انظر: كلام فهد بن عبدالعزيز العسكر، في المرجع السابق.

وفي عام ١٤٠٢ منح من قبل رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد شهادة علمية، بدرجة: أستاذ؛ لبحوثه القيمة للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء[(١)].

وخير شاهد على مؤلفاته وتحقيقاته وتعقباته علماء فحول يثنون على عمله[(٢)]:

١ ـ قال عنه سماحة المفتي الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ إبان رئاسته ـ الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ـ : «فضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري أحد العلماء المعتبرين. . .، وقد أسندنا إليه إعداد بحوث علمية تتولى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء الاستعانة بها في تقديم بحوثها إلى هيئة كبار العلماء، لدراسة مواضيعها لدى الهيئة في دوراتها، وليس لدينا في الرئاسة من البحاث[(٣)] من هو أفضل منه علمًا ونشاطًا وقدرة وسعة اطلاع[(٤)]، وهو بحق يعتبر من العلماء الأفاضل»[(٥)].

---

(١) انظر: مجلة المنهل السنة ٤٨ ـ المجلد ٤٤ المحرم وصفر ١٤٠٢هـ.

(٢) انظر: كلام محمد بن عبدالرحمن آل إسماعيل، في المرجع السابق.

(٣) وفضيلة الشيخ إسماعيل الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ أحد البحاث المتعاونين باللجنة الدائمة المتفرعة عن هيئة كبار العلماء ـ سابقًا ـ انظر: خطاب رقم ٣/٨٩١١/س وتاريخ ١٣٩٢/٥/٩هـ.

(٤) «وظهر لنا من القدرة على الاطلاع ومعرفة المراجع، وأماكن البحوث في أمهات الكتاب». قاله: فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، انظر: المرجع السابق.

(٥) انظر: خطاب رقم ٢٥٢٣/ن وتاريخ ١٣٩٧/٤/١٨هـ.

٢ـ قال عنه معالي الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ إبان رئاسته ـ الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ـ إنه: «على درجة عالية من الجودة والإتقان في إعداد بحوث علمية مطولة للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ولهيئة كبار العلماء، ودراسة كثير من الكتب وتنقيحها، وتصحيح بعض المخطوطات العلمية والكتب والرسائل التي تقوم هذه الرئاسة بطباعتها في إطار نشر الكتب السلفية النافعة»[١].

٣ـ قال عنه فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان ـ رئيس مجلس القضاء الأعلى، وعضو هيئة كبار العلماء ـ: «كان واسع الإطلاع نقي السريرة، من النوادر في الاهتداء إلى مواطن البحث العلمي وأماكن المسائل، فكانت له طريقته الفذة...، وكان على قدر كبير من معرفة الحديث ورجاله والفقه والعقيدة، وهو من النوادر في معرفة أماكن البحث في عدد من الكتب إذا أراد إعداد بحث معين سرعان ما يحدد أماكن أصوله...، وكان يقوم بالعمل الذي يوكل إليه خير قيام في إعداد بعض البحوث التي تطلب منه والتحضير لها، وربما قام بالرد على بعض الأمور على الذين يخالفون العقيدة الصحيحة في كتاباتهم»[٢].

٤ـ قال عنه فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين ـ عضو اللجنة الدائمة للإفتاء ـ سابقًا ـ: «تولى كتابة البحوث التي تطلب من الدار،

(١) انظر: خطاب رقم: ١/١٧٠١ وتاريخ ١٣٩٤/٤/١٢هـ.

(٢) انظر: جريدة المسلمون ٤ ذو الحجة ١٤١٧ هـ العدد (٦٣٦).

والإجابة التحريرية على الأسئلة، وإعداد المقالات المطلوبة من دار الإفتاء، وقام بذلك أتم قيام فقد وهبه الله ـ تعالى ـ القدرة على الإنشاء وسهلت عليه الكتابة، وتمكن من الإطلاع على الكتب ومعرفة محتوياتها»[١].

٥ـ قال عنه فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما كان ـ نائب رئيس المعاهد والكليات العلمية آنذاك ـ هذه المقطوعة الشعرية[٢]:

أيها العالم الحصيف هنيئًا ... لك هذا العطاء من العلم بحره
كم دفين في قاعه كان نسيًا ... صفته للأنام في حسن صنعه
كم جهول قد قال في العلم قولًا ... ظنه الحق فانبريت لهدمه
كم صفيق قد نال من سلف الأمة ... تجهيلًا سمته سوء خسفه
خبطوا كالعشواء في كل بحث ... كيف يعطي العطاء فاقد لبه
فأبنت الصواب في غير ما مسـ ... ـأله تدفق الجهول برمسه
تدفع الباطل اللجوج بحق ... مشرق في السماء إشراق شمسه
نفثات من فيض علمك ترى ... في بحوث جلي تعج بنفحه
كم كتاب حققت حتى كأن الله ... قد صاغ فيه أنفاس قدسه
عشت يا إسماعيل للبحث والتحقيق ... نبراس من يتيه بدربه

وكانت مؤلفاته تتسم: بالمتانة والقوة والجدية والموضوعية، وقد تميز

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: جريدة المدينة ٧ ذو القعدة ١٣٩٢هـ العدد (٢٦٤١).

بدفاعه عن الحديث ورجاله بمؤلفاته التي تفوق الوصف بدقة الرصف[١].

كان أمله العظيم في حماية الدين، ونشر العقيدة، بما ستخرجه المعاهد والكليات من طلاب سوف يحملون مشاعل الدين والدعوة إلى الله، فيعود للإسلام مجده وعزه[٢].

تتلمذ على يديه الكثير من الذين يحملون الدكتوراه، فهو كالمعدن الثمين الذي لا يعرفه إلا المختصون[٣] بمعرفة المعادن[٤].

وفي عام ١٤٠٥ . أحيل للتقاعد، ثم تعاقدت الدار معه للحاجة الماسة إلى عمله[٥]، ومع ذلك استمر يؤدي العمل الذي يوكل إليه في هذا المجال[٦]. لقد عاش أمة وحده استفاد منه الكثير من علماء هذه البلاد، ومن كبار العلماء، واستفاد منه غيرهم ممن يفد إلى هذه البلاد للتعليم خاصة علم الحديث ورجاله، لقد أثرى المكتبة الإسلامية بكتب

---

(١) انظر: كلام محمد بن عبدالرحمن آل إسماعيل، في المرجع السابق.

(٢) بقلم فضيلة الشيخ عمر بن عبدالجبار رحمه الله، انظر: جريدة البلاد ٢٣ رجب ١٣٧٩هـ.

(٣) لقد رأيت فضيلة الدكتور عبدالله بن عبدالرحمن آل جبرين ـ عضو اللجنة الدائمة للإفتاء سابقًا ـ يقبل رأس الشيخ إسماعيل رحمه الله، والشيخ إسماعيل رحمه الله يحاول دفعه فلم يستطع، وفضيلة الشيخ عبدالله يقول: أستاذي أستاذي. كتبه: محمد بن عبدالرحمن آل إسماعيل. انظر: المرجع السابق.

(٤) انظر: كلام محمد بن عبدالرحمن آل إسماعيل، في المرجع السابق.

(٥) انظر: كلام فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، في المرجع السابق.

(٦) انظر: كلام فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، في المرجع السابق.

عز لها نظير تسابق عليها الموافق والمخالف»[١].

وفي آخر حياته أصيب بأمراض مستعصية طال فيها تجلده وعلاجه في المستشفيات حتى وفاه الأجل[٢]. فهو خسارة على الأمة بوفاته[٣] ـ رحمة الله عليه ـ[٤](*).

---

(١) انظر: كلام محمد بن عبدالرحمن آل إسماعيل، في المرجع السابق.

(٢) انظر: كلام فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، في المرجع السابق.

(٣) فعرفته نعم الرجل ومن عام ١٣٨٠هـ فهي المعرفة التامة إلى أن توفاه الله ـ رحمة الله عليه ـ. قاله: فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، انظر: المرجع السابق.

(٤) انظر: كلام فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، في المرجع السابق.

(*) جمعها ورتبها: أ. محمد بن إسماعيل الأنصاري ـ الوكيل الشرعي لورثة الشيخ إسماعيل الأنصاري ـ، للتواصل: ناسوخ ٠٠٩٦٦١٢٩٠٢١٩٠ ـ ص. ب ٥٠٧١٩ الرياض ١١٥٣٣.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال عبدالعزيز بن يحيى بن عبدالعزيز بن مسلم بن ميمون الكناني:
اتصل بي - وأنا بمكة - ما قد أظهره بشر بن غياث المريسي ببغداد مِنَ القول بخلق القرآن وغيره، ودعاية الناس إلىٰ موافقته علىٰ قوله ومذهبه، وتشبيهه علىٰ أمير المؤمنين - المأمون - وعامة أوليائه، وما قد وقع في الناس من المحنة، والأخذ في الدخول في الكفر والضلالة، ورهبة الناس وتخوُّفهم من مناظرته، وإحجامهم عن الردِّ عليه بما يُكسر به قولُهُ وتُدْحَضُ به حُجَّتُه، ويُبطل به مذهبُهُ، واستتار المؤمنين في بيوتهم، وانقطاعهم عن الصلاة في الجماعات والجمعات، وهربهم من بلدٍ إلىٰ بلد؛ خوفًا علىٰ أنفسهم وأديانهم، وكثرة موافقة الجهَّال والرعاع من الناس علىٰ كُفْرِهِ وضلالته، والدخول علىٰ بِدْعَتِهِ، والانتحال بمذهبه؛ رغبةً في الدنيا، ورهبةً من العقوبة التي كان يُعاقِب بها مَنْ خَالَفَهُ علىٰ مذهبه.

قال عبدالعزيز: فأزعجني قلقي، وأسهر ليلي، وأدام فكري، وأطال غَمِّي وَهَمِّي، فخرجتُ من بلدي متوجهًا إلىٰ ربي عَزَّ وَجَلَّ، وأسألُهُ سلامتي وتبليغي حتىٰ قَدِمْتُ بغداد، فشاهدت من غِلَظِ الأمر وامتداده أضعاف ما كان يصل إليَّ، فَفَزِعْتُ إلىٰ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ أدعوه وأتضرَّع إليه راغبًا وراهبًا،

واضعًا له خدِّي، باسطًا إليه يدي، أسألُهُ إرشادي، وتسديدي، وتوفيقي، ومعونتي، والأخذ بيدي، وأن لا يسلمني، وأن لا يكلني إلىٰ نفسي، وأن يفتح لِفَهْمِ كتابه قلبي، وأن يُطلق لِشَرْحِ بيانه لساني، وأخلصت لله نِيَّتي، ووهبتُ له نفسي، فعجَّل - تبارك وتعالىٰ - إجابتي، وثبَّت عزمي، وشجع قلبي، وفتح لفهم كتابه قلبي، وأطلق به لساني، وشرح به صدري، فأبصرت رشدي بتوفيقه إيايَ، وآنست إلىٰ معونته ونصرته، ولم أسكن إلىٰ مشاورة أحدٍ من خلق الله ﷻ في أمري، وجعلت أسرُّ أمري، وأخفي خبري علىٰ الناس جميعًا؛ خوفًا من أن يشيع خبري، ويعلم بمكاني، فأُقتل قبل أن يُسمع كلامي، فأجمع رأيي علىٰ إظهار نفسي، وإشهار قولي ومذهبي علىٰ رءوس الأشهاد؛ والقول بمخالفة أهل الكفر والضلال، والرد عليهم، وذكر كفرهم وضلالتهم، وأن يكون ذلك في المسجد الجامع في يوم الجمعة، وأيقنت أنهم لا يحدثون عليَّ حادثة، ولا يعجلون عليَّ بقتلٍ ولا عقوبةٍ بعد إشهاري نفسي، والنداء بمخالفته علىٰ رءوس الخلائق؛ إلا بعد مناظرتي والاستماع مني.

وكان الناس في ذلك الزمان في أمرٍ عظيمٍ، قد منع الفقهاء، والمحدثون، والمذكرون من القعود في ذلك الجامع ببغداد، وفي غيرها من سائر المواضع؛ إلَّا بشرًا المريسي، ومحمد بن الجهم، ومن كان مُوَافِقًا لهما علىٰ مذهبهما؛ فإنهم كانوا يقعدون يُعَلِّمُونَ الناسَ الكُفْرَ والضلال، وكلُّ من أظهر مخالفتهم علىٰ مذهبهم أو هَمَّ بذلك، أُحضر، فَسُئِلَ عن

قوله، فإن خالفهم وَأَبَىٰ أن يُوَافِقَهُم علىٰ قولهم؛ قتلوه سرًّا أو جهرًا، أو يحملوه إلىٰ أرضٍ أخرىٰ فَيُقْتَلُ هناك، فَكَمْ من قتيلٍ لا يُعلم به، وكم من مضروبٍ قد أظهر أمره، وكم أجابهم لما دعوه إليه، وتابعهم علىٰ قولهم - مِنَ العلماء -؛ خوفًا علىٰ أنفسهم لما عرضوه علىٰ السيف والقتل. أجابوا جزعًا، وفارقوا الحقَّ عيانًا وهم يعلمون لما حذروه من بأسهم والوقوع بهم.

قال عبدالعزيز: فلما كان يوم الجمعة التي عزمتُ فيها علىٰ إظهار أمري، وإشهار قولي واعتقادي، صَلَّيْتُ الجمعة في مسجد الرصافة في الجانب الشرقي منها، حيال القبلة والمنبر في أول صفوف العامة، فلما سلم الإمام من صلاة الجمعة، وَثَبْتُ قائمًا علىٰ رجلي؛ ليراني الناس، ويسمعوا كلامي، ولا تخفىٰ عليهم مقالتي، وناديتُ بأعلىٰ صوتي مخاطبًا لابني، وكنت قد أقمته بحيالي عند الإسطوانة الأخرى.

وقلت: يا بني، ما تقول في القرآن؟ فقال ابني: كلام اللَّه، منزلٌ غير مخلوق، فلما سَمِعَ الناسُ مقالتي وكلامي لابني، وَجَوَابَهُ لي؛ هربوا علىٰ وجوههم خارجين من المسجد - إلَّا اليسير من الناس -؛ خوفًا علىٰ أنفسهم، وذلك أنهم سمعوا ما لم يكونوا يسمعونه مِنْ قَبْلُ، وَظَهَرَ لهم ما كانوا يكتمونه، فلم يُسْتَتَمَّ من ابني الجواب حتىٰ جاء أصحاب السلطان، فاحتملوني وابني، فأوقفونا بين يدي عمرو بن مسعدة، وكان جاء لِيُصَلِّيَ الجمعة، فلما نظر إلىٰ وجهي، وكان قد سَمِعَ كلامي ومسألتي

لابني، وجوابَ ابني إيايَ، فلم يَحْتَجْ أن يسألني عن كلامي، فقال لي: أمجنونٌ أنت؟ قلتُ: لا.

فقال: فموسوسٌ أنت؟ قلتُ: لا. قال: فمعتوهٌ أنت؟ قلت: لا، والحمد لله؛ وإني لَصَحِيحُ العقل، جيدُ الفَهْم، ثابتُ المعرفة. قال: فمظلومٌ أنت؟ قلت: لا. فقال لأصحابه: مروا بهما سَحْبًا إلىٰ منزلي.

قال عبدالعزيز: فَحُمِلْنَا علىٰ أيدي الرجالة حتىٰ أُخرجنا من المسجد الجامع، ثمّ جعل الرجالة يتعادون بنا سَحْبًا شديدًا، وأيدينا في أيديهم يَمْنَةً ويسرة، وسائر أصحابه قدامنا وخلفنا؛ حتىٰ صرنا إلىٰ منزل عمرو بن مسعدة من الجانب الغربي علىٰ تلك الحالة الغليظة، فأوقفنا علىٰ بابه حتىٰ دخل، فأمر بنا، فأدخلنا عليه وهو جالسٌ في صحن دَارِهِ علىٰ كرسيٍّ من حديد، وَشَوَارُهُ عليه، فلما صرنا بين يديه أَقْبَلَ عليَّ، فقال: من أين أنت؟ فقلت: من أهل مكة. قال: ما حَمَلَكَ علىٰ ما صَنَعْتَ بنفسك؟ قلت: طَلَبُ القربة إلىٰ الله ﷻ، ورجاء الزُّلْفَةِ لديه. قال: فَهَلَّا فعلتَ ذلك سرًّا من غير نداءٍ، ولا إظهار المخالفة لأمير المؤمنين، ولكن أردتَ الشهرة والرياء والسوء، ولتأخذ أموال الناس. فقلت: ما أردتُ إلا الوصولَ إلىٰ أمير المؤمنين، والمناظرة بين يديه، لا غير ذلك. قال: أَوَتَفْعَلُ ذلك؟ قلت: نعم؛ ولذلك قصدتُ، وبلغت بنفسي ما ترى، وتغريري بنفسي، وسلوكي البراري أنا وولدي؛ رجاء تأدية حقِّ الله فيما استودعني من العلم والفهم في كتابه، وما أخذه عليَّ وعلىٰ العلماء من البيان. فقال: إِنْ

كنتَ إنما جعلتَ هذا سببًا لغيره؛ إذا وصلتَ إلىٰ أمير المؤمنين فقد حلَّ دمك لمخالفتك أمير المؤمنين. فقلت له: إن تَكَلَّمْتُ في شيءٍ غير هذا، وجعلتُ هذا ذريعةً إلىٰ غيره؛ فَدَمِي حلالٌ لأمير المؤمنين.

فَوَثَبَ عَمْرٌو قائمًا علىٰ رجلَيْهِ، وقال: أَخْرِجُوهُ بين يدي. فأُخرجت بين يديه، وركب من الجانب الغربي، وأنا وابني بين يديه، يُغْدَىٰ بنا علىٰ وجوهنا، وأيدينا في أيدي الرجالة؛ حتىٰ ساروا إلىٰ دار أمير المؤمنين من الجانب الشرقي، فدخل ونحن في الدهليز قيامًا علىٰ أرجلنا، فَأَطَالَ عند أمير المؤمنين، ثُمَّ خَرَجَ وَقَعَدَ في حجرةٍ له، وأمر بي فأُدخلتُ عليه، فقال:

أخبرتُ أميرَ المؤمنين بخبرك، وما فعلتَ، وما سألت من الجمع بينك وبين مخالفيك للمناظرة بين يديه، وقد أَمَرَ - أطال الله بَقَاءَهُ وأعلىٰ أَمْرَهُ - بإجابتك إلىٰ ما سألتَ، وجمعِ المناظرين علىٰ هذه المقالة إلىٰ مجلسه - أعلاه الله - في يوم الاثنين الأدنى، ويحضر معهم ليناظروا بين يديه، ويكون هو الحاكم بينكم.

قال عبدالعزيز: فأكثرتُ حَمْدَ الله وَشُكْرَهُ علىٰ ذلك، وأظهرت الدعاء والشكر لأمير المؤمنين.

فقال عَمْرٌو: أَعْطِنَا كفيلًا بنفسك؛ حتىٰ تحضر معهم يوم الاثنين، وليس بنا حاجة إلىٰ حَبْسِكَ.

فقلت له: أدام الله عِزَّكَ، أنا رجلٌ غريب، ولستُ أعرف في هذه البلدة أحدًا، ولا يعرفني من أهلها أَحَدٌ، فَمِنْ أين لي من يكفل بي، خاصةً

مع إظهاري مَقَالَتِي. لو كان الخلقُ يعرفونني حقَّ معرفتي لَتَبَرَّءُوا مني، وهربوا من قربي، وأنكروني. **قال:** فنوكل بك مَنْ يكون معك؛ حتىٰ يُحضرك في ذلك اليوم، وتنصرف، فتصلح من شأنك، وَتَتَفَكَّر في أمرك؛ فَلَعَلَّكَ أن ترجع عن غَيِّكَ، وتتوب من فعلك؛ فيصفح أمير المؤمنين عنك.

فقلت: ذلك إليك ـ أعزك الله ـ، فَافْعَلْ ما رأيت، فوكل من يكون معي في منزلي ـ وَانْصَرَفَ.

قال عبدالعزيز: فلما صَلَّيْتُ الغداة في يوم الاثنين في المسجد الذي علىٰ باب بيتي، إذا خليفة عمرو بن مسعدة قد جاءني، ومعه جمعٌ كثيرٌ من الفرسان والرجالة، فحملني مكرمًا علىٰ دابة؛ حتىٰ سار بي إلىٰ دار أمير المؤمنين، فأوقفني هناك حتىٰ جاء عمرو بن مسعدة، فجلس في حجرته التي كان يجلس فيها، ثم أذن لي بالدخول، فدخلت، فلما صرتُ بين يديه، أجلسني، ثم قال:

أنت مقيمٌ علىٰ ما كنتَ عليه أم رجعت عنه؟ **فقلت:** بَلْ مُقِيمٌ علىٰ ما كنتُ عليه، وَقَدِ ازْدَدْتُ ـ بتوفيق الله ـ بصيرة ورشدًا.

فقال عمرو: يا أيها الرجل، قد حملتَ نفسك علىٰ أمرٍ عظيم، وبلغت الغاية في مكروهها، وتعرضت لما لا قوام لك به مِنْ مخالفة أمير المؤمنين، وَادَّعَيْتَ ما لا يثبت لك به حُجَّة علىٰ مخالفيك، وليس إلا السيف بعد ظهور الحجة عليك، فَانْظُرْ لنفسك، وَبَادِرْ أمرك قبل أن تقع

المناظرة، وتظهر عليك الحجة؛ فلا تَنْفَعُكَ الندامة، ولا تُقبل لك معذرة، ولا تُقال لك عَثْرَةٌ، فقد رحمتُكَ وأشفقتُ عليك مما هو بك نازلٌ، وأنا أستقيلُ لك أمير المؤمنين، وأسألُهُ الصَّفْحَ عن جرمك، وعظيم ما كان منك إنْ أَظْهَرْتَ الرجوع عنه، والندم علىٰ ما كان منك، وآخذ لك الأمان منه ـ أيده الله ـ والجائزة، وإن كان بك مظلمةٌ أَزَلْتُهَا عنك، وإن كان لك حاجة قَضَيْتُها لك؛ فإنما جلستُ رحمةً لك مما هو نازلٌ بك بعد ساعة، إن أقمتَ علىٰ ما أنت عليه، ورجوت أن يُخَلِّصَكَ الله علىٰ يدي من عظيم ما أوقعتَ نفسك به.

فقلت: ما ندمتُ ـ أعزك الله ـ علىٰ ما كان مِنِّي، ولا رجعتُ عنه، ولا خرجتُ من بلدي، وغررت بنفسي إلا في طَلَبِ هذا اليوم، وهذا المجلس؛ رَجَاءَ أن يبلغني الله ما أُؤَمِّلُهُ من إقامة الحق، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ، وهو حسبي، وَنِعْمَ الوكيل.

قال عبدالعزيز ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: فقام عمرو بن مسعدة علىٰ رجليه، **وقال:** قد حرصتُ علىٰ خَلَاصِكَ جَهْدِي، وأنت حريصٌ علىٰ سَفْكِ دمك، وَقَتْلِ نفسك.

فقلت: معونة الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ أَعْظَمُ وَأَلْطَفُ من أن ينساني الله، أو يَكِلَنِي إلىٰ نفسي، وَعَدْلُ أمير المؤمنين أَوْسَعُ من أن يقصر عني؛ وإنما أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم.

قال عبدالعزيز ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: فقام عمرو بن مسعدة، فدخل

بي، فأخرجت إلىٰ الدهليز الأول، ومعي جماعةٌ موكلون بي، وكان قد أمر بني هاشم أن يركبوا، وَوَجَّهَ إلىٰ القضاة، والفقهاء الموافقين لهم علىٰ مذهبهم، وسائر المتكلمين والمناظرين أن يحضروا، والقواد، والأولياء، فركب القوم بالسلاح؛ ليرهبوني بذلك، ويرهبوا الرعية، وأمر الناس جميعًا أن لا ينصرفوا حتىٰ نتفرغ من المجلس.

فلما اجتمع الناس، وَتَتَامُّوا لم يَتَخَلَّفْ منهم أحدٌ ممن يعرفونه بالكلام والجدل، أذن لي بالدخول، فلم أزل أَنْتَقِلُ من دهليز إلىٰ دهليز؛ حتىٰ صرتُ إلىٰ الحاجب - صاحب الستر الذي علىٰ باب الصحن -، فلما رآني، أمر بي فأدخلت إلىٰ حجرته، ودخل معي، **فقال**: إن كنتَ تحتاجُ إلىٰ تجديد الوضوء؟ **قلتُ**: ما لي إلىٰ ذلك حاجة. **قال**: ارْكَعْ ركعتَيْنِ. فركعتُ أربع ركعات، وَدَعَوْتُ الله ﷻ، ثُمَّ قال لي: اسْتَخِرِ الله، وَقُمْ فَادْخُلْ. وخرج معي إلىٰ باب الصحن، وَشَالَ الستر، وأخذ الرجال بيدي وَعَضُدِي، وجعل أقوامٌ أَيْدِيَهُم في ظهري، وعلىٰ رقبتي، وجعلوا يتعادون بي، وَنَظَرَنِي المأمون، وأنا أسمع صوتًا: خَلُّوا عنه. وَكَثُرَ الضجيج من الحجاب والقواد بمثل ذلك، فَخَلَّوْا عني، وقد كاد يتغير عقلي من شِدَّةِ الجزع، وَعَظِيمِ ما رأيتُ في ذلك الصحن من السلاح، وهم مِلْءُ الصحن، وكنتُ قليل الخبرة بدار أمير المؤمنين؛ ما رأيتُها قبل ذلك، ولا دخلتها.

فلما صرتُ علىٰ باب الإيوان، وقفتُ، فسمعتُ المأمونَ يقول:

أَدْخِلُوهُ، قَرِّبُوهُ. فلما دخلتُ من باب الإيوان وَقَعَتْ عيني عليه، وَقَبْلَ ذلك لم أَنْتَبِهْ لما كان على باب الإيوان من الحجاب والقواد، **فقلت:** السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، **فقال:** وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. **ثُمَّ قال:** ادْنُ مِنِّي. فَدَنَوْتُ منه، ثُمَّ جعل يقول: ادْنُ مِنِّي. فدنوت منه، ثم جعل يقول: ادْنُ. وأدنو، ويُكَرِّرُ ذلك، وأنا أدنو خطوة خطوة حتىٰ صرتُ إلىٰ الموضع الذي يَجْلِسُ فيه المتناظرون ويسمع كلامهم، والحاجب معي يُقَدِّمُني، فلما انتهيتُ إلىٰ الموضع، **قال لي المأمون:** اجْلِسْ. فجلستُ.

قال عبدالعزيز: وسمعتُ رجلًا من جُلَسَائِهِ يقول ـ وقد دخلتُ الإيوان ـ: يا أمير المؤمنين، يكفيك من كلام هذا قُبْحُ وَجْهِهِ، فوالله ما رأيتُ خلقًا لله أقبح وَجْهًا منه. فسمعتُ قولَهُ هذا وَفَهِمْتُهُ، وما رأيتُ شَخْصَهُ علىٰ ما كنتُ فيه من الجزع والرعدة.

قال عبدالعزيز: وتبيَّن لأمير المؤمنين ما أنا فيه من الجزع، وما قد نَزَلَ بي من الخوف، فَجَعَلَ ينظرني، وأنا أَرْتَعِدُ خوفًا وَأَنْتَفِضُ، وَأَحَبَّ أن يؤنسني، ويُسكن روعتي؛ فجعل يكثر كلام جلسائه، ويكلم عمرو بن مسعدة، ويتكلم بأشياء كثيرة مما لا يحتاج إليها؛ يريد بذلك كُلِّهِ إيناسي، وجعل يُطيل النظر إلي الإيوان، وَيُدِيرُ نَظَرَهُ فيه، فَوَقَعَتْ عيناه علىٰ موضع من نقش الجِصِّ، قَدِ انْتَفَخَ، **فقال:** يا عمرو، ما ترىٰ هذا قد انتفخ من هذا النقش في هذا الجِصِّ وسيقع، فبادر في قَلْعِهِ وعمله. فقال عمرو: قَطَعَ

اللَّه يد صانعه؛ فإنه قَدِ اسْتَحَقَّ العقوبة علىٰ عَمَلِهِ هذا.

قال عبدالعزيز: ثُمَّ أقبل عليَّ المأمون، **فقال:** ما الاسم؟ **فقلت:** عبدالعزيز. **قال:** ابْنُ مَنْ؟ **قلتُ:** ابن يحيىٰ بن مسلم. **قال:** ابْنُ مَنْ؟ **قلت:** ابن ميمون الكناني. **قال:** أَوَأَنْتَ من كنانة؟ **قلت:** نَعَمْ يا أمير المؤمنين. فتركني هنيهة لا يُكَلِّمُنِي، **فقال:** مِنْ أين الرجل؟ **قلت:** من الحجاز. **قال:** وَمِنْ أَيِّ الحجاز؟ **قلتُ:** من مكة. **قال:** ومَنْ تعرف من أهل مكة؟ **قلت:** يا أمير المؤمنين، قلَّ مَنْ بها من أهلها إلا وأنا أعرفه؛ إلا رجل ضوىٰ إليها أو مَنْ جاور بها؛ فإني لا أعرفه. **قال:** تعرف فلانًا وفلانًا؟ حتىٰ عَدَّدَ جماعة من بني هاشم، كلهم أعرفهم حَقَّ المعرفة، فجعلت أقول: نعم. وسألني عن أولادهم وأنسابهم، فأخبرتُهُ من غير حاجة إلىٰ شيء من ذلك، ولا تقدم من مسألتي؛ وإنما يريد إيناسي، وبسطي للكلام، وتسكين روعتي وجزعي، فذهب عَنِّي ما كنتُ فيه، وما لحقني من الجزع. وجاءت المعونة من اللَّه ﷻ قَوِيَ بها ظهري، واشتد بها قلبي، واجتمع بها فَهْمِي.

قال عبدالعزيز ـ رحمه اللَّه تعالىٰ ـ: فأقبل عليَّ المأمون، **وقال:** يا عبدالعزيز، إنه قَدِ اتَّصَلَ بي ما كان منك، وقيامك في المسجد الجامع، وقولك: إن القرآنَ كلامُ اللَّه... إلخ بحضرة الخلق، وعلىٰ رءوس الخلائق، وما كان من مَسْأَلَتِكَ بذلك من الجمع بينك وبين مخالفيك علىٰ القول؛ لِتُنَاظِرَهُمْ في حضرتي، وفي مجلسي، والاستماع منك ومنهم، وقد جَمَعْتُ المخالفين لك؛ لتناظرهم بين يدي، وأكون أنا الحاكم

بينكم، فإن تَتَبَيَّنِ الحجة لك عليهم والحق معك؛ اتَّبَعْنَاكَ، وإن تَكُنِ الحجة لهم عليك والحق معهم؛ عَاقَبْنَاكَ، وَإِنِ استقلتَ أقلناك.

ثُمَّ أقبل المأمونُ علىٰ بشر المريسي، **وقال**: يا بشر، قُمْ إلىٰ عبدالعزيز، فناظره وأنصفه. **قال**: فَوَثَبَ بشرٌ المريسي من مَوْضِعِهِ الذي كان فيه؛ كالأسد يَثِبُ إلىٰ فريسته فرحًا، فَانْحَطَّ عليَّ، فوضع ركبتَيْهِ وَفَخْذَهُ الأيسر علىٰ فخذي الأيمن، فكاد أن يُحَطِّمَهُ وَغَمَزَ إليَّ بِقُوَّتِهِ كُلِّهَا.

فقلتُ: مهلًا؛ فإنَّ أمير المؤمنين لم يَأْمُرْكَ بقتلي، ولا بِظُلْمِي؛ وإنما أمرك بمناظرتي وإنصافي. فصاح به المأمون، **وقال**: تَنَحَّ عنه. وَكَرَّرَ ذلك عليه؛ حتىٰ بَاعَدَهُ مني.

قال ثُمَّ أقبل عليَّ المأمون، **وقال**: يا عبدالعزيز، نَاظِرْهُ علىٰ ما تريد، واحتج عليه، ويحتج عليك، وتسأله ويسألك، وَتَنَاصَفَا في كَلَامِكُمَا، وَتَحَفَّظَا ألفاظكما؛ فإني مستمعٌ عليكما، متحفظٌ ألفاظكما. **فقال عبدالعزيز: فقلتُ**: السمع والطاعة لأمير المؤمنين؛ ولكن أُريد أن أَقُولَ شيئًا، فيأذن لي أمير المؤمنين فيه. **قال**: قُلْ كَمَا تُريد. قلت: يا أمير المؤمنين، أسألك بالله مَنْ أجمل مَنْ بلغك مِنَ البشر، وأحسنهم وَجْهًا مِنْ جميع وَلَدِ آدم؟ **قال**: يوسف ـ بعد أن أطرق مليًا ـ. **فقلتُ**: صَدَقْتَ يا أمير المؤمنين، فوالله ما أُعْطِيَ يوسف علىٰ حسن وَجْهِهِ جرادتين، ولقد سُجِنَ، وَضُيِّقَ عليه من أَجْلِ حسن وجهه؛ ظلمًا بغير حَقٍّ؛ بعد أن وقف علىٰ براءته، وإقرار امرأة العزيز؛ أنها هِيَ رَاوَدَتْهُ عن نفسه، فَاسْتَعْصَمَ،

فَحُبِسَ بعد ذلك كُلِّهِ لِحُسْنِ وجهه؛ قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥﴾ [يُوسُف: ٣٥]؛ فَدَلَّ بقوله علىٰ أنه حُبِسَ بغير ذَنْبٍ، لكن العلةَ حُسْنُ وجهه، وليغيبوه عنها وعن غيرها؛ رَجَاءَ تغيُّر حلية وجهه، وليذهب بحسنه، فطال في السجن مُكْثُهُ حتىٰ عبر الرؤيا، ووقف الملكُ علىٰ عِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَحُسْنِ عبارته، فاشتاق إليه، ورغب في صحبته؛ فقال: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾ [يُوسُف: ٥٤].

وكان هذا القول من الملك بعد تعبير يوسف الرؤيا، ووقوف الملك علىٰ حسن عبارته، وكما أخبر اللَّه ﷻ في كتابه، قبل أن يَسْمَعَ كلامه، فَلَمَّا دَخَلَ عليه وسمع كلامَهُ؛ صَيَّرَهُ علىٰ خزائن الأرض، وَفَوَّضَ إليه الأمور كلها، واعتزل منها، وصار كأنه من تحت يده، فكان ما بلغه يوسف كله من كَلامه وعلمه، لا بجماله وحسن وجهه، قال اللَّه ﷻ: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾ [يُوسُف: ٥٤، ٥٥]. ولم يَقُلْ: إني حسنٌ جميلٌ، فواللَّه ما أُبالي يا أمير المؤمنين، لو كان وَجْهِي أَقْبَحَ مما هو معي؛ فقد أعطاني اللَّه ـ وله الحمد ـ مِنْ فَهْم كتابه، والعلم بتنزيله.

فقال المأمون: وَأَيُّ شَيْءٍ أردتَ بهذا القول، وما الذي دعاك إليه؟ فقلت: إني سَمِعْتُ بَعْضَ من هَاهُنَا يقول: يا أمير المؤمنين، يكفيك من كلام هذا قُبْحُ وَجْهِهِ. فَأَيُّ عَيْبٍ يلحقني في صنعة ربي ﷻ؟ فَتَبَسَّمَ المأمون حتىٰ وضع يَدَهُ علىٰ فِيهِ، فقلت: يا أمير المؤمنين، قد رأيتُكَ تَنْظُرُ

هذا النقش في الحائط، وَتُنْكِرُ انتفاخ الجِصّ، وَسَمِعْتُ عَمْرًا يَعِيبُ الصَّانِعَ، ولا يَعِيبُ الجِصَّ. **فقال المأمون**: العيبُ لا علىٰ الشَّيْءِ المصنوع؛ إنما العيب علىٰ صَانِعِهِ. **فقلتُ**: صَدَقْتَ يا أمير المؤمنين، وَقُلْتَ الحق، فهذا يَعِيبُ رَبِّي لِمَ خلقني قبيحًا. فازداد تَبَسُّمًا حتىٰ ظَهَرَ ذلك، **فقال**: يا عبدالعزيز، نَاظِرْ صَاحِبَكَ؛ فقد طَالَ المجلس بِغَيْرِ مناظرة.

قلتُ: يا أمير المؤمنين، كُلُّ متناظِرَيْنِ علىٰ غَيْرِ أَصْلٍ يكون بينهما؛ يَرْجِعَانِ إليه إذا اخْتَلَفَا في شَيْءٍ من الفروع - فَهُمَا كالسائر علىٰ غير طريق، وهو لا يعرف المحجةَ فيتبعها، ولا يعرف الموضعَ الذي يُريد فيقصده، وهو لا يَدْرِي من أين جاء فَيَرْجِع؛ فيطلب الطريق، وهو علىٰ ضلال. ولكننا نُؤَصِّلُ بيننا أصلًا؛ فإذا اختلفنا في شَيْءٍ من الفروع رَدَدْنَاهُ إلىٰ الأصل، فإن وجدناه فيه؛ وَإِلَّا رمينا به، ولم نلتفت إليه. **قال المأمون**: نِعْمَ ما قُلْتَ، فَاذْكُرِ الأصل الذي تريد أن يكون بينكما. قلت: يا أمير المؤمنين، الأصل بيني وبينه؛ ما أمرنا الله ﷻ، واختاره لنا، وَعَلَّمَنَاه، وأدبنا به في التنازع والاختلاف، ولم يَكِلْنَا إلىٰ غَيْرِهِ، ولا إلىٰ أنفسنا واختيارنا؛ فَنَعْجز.

قال المأمون: وَهَلْ ذلك موجودٌ عن الله ﷻ؟ **قلتُ**: نَعَمْ يا أمير المؤمنين. **قال**: فَاذْكُرْ ذلك. قلت: قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ

وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩] ؛ فهذا تعليمٌ من اللَّه، وتأديبه، واختياره لعباده المؤمنين؛ ما أَصَّلَهُ المتنازعون بينهم، وقد تنازعتُ أنا وبشرٌ يا أمير المؤمنين، وبيننا كتابُ اللَّه وسُنَّةُ نبيه محمد ﷺ كما أمر اللَّه ﷻ فإذا اختلفنا في شَيْءٍ من الفروع رَدَدْنَاهُ إلىٰ كتاب اللَّه ﷻ، فإن وجدناه فيه وَإِلَّا إلىٰ سُنَّةِ نبيه ﷺ، فإن وجدناه فيها وَإِلَّا ضَرَبْنَا به الحائط، ولم نَلْتَفِتْ إليه.

قال المأمون: فَافْعَلَا وَأَصِّلَا بينكما هذا، وَاتَّفِقَا عليه، وأنا الشاهد عليكما، والحافظ لِمَا يجري بينكما.

قال عبدالعزيز: قُلْتُ: يا أمير المؤمنين، إنه مَنْ أَلْحَدَ في كتاب اللَّه زائدًا أو جاحدًا؛ لم يُناظر بالتأويل، ولا بالتفسير. قال المأمون: بِأَيِّ شيءٍ تناظر؟ قلتُ: بنصِّ القرآن بالتلاوة؛ قال اللَّه ﷻ لنبيه ﷺ حين ادَّعَتِ اليهود تحريمَ أشياء لم تُحَرَّمْ عليهم: ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٩٣] ، وقال اللَّه ﷻ لنبيه: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرّعد: ٣٠] ، وقال اللَّه ﷻ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١] ، وقال: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [النّمل: ٩٢] ، فإنما أَمَرَ اللَّه نبيَّهُ بالتلاوة ولم يَأْمُرْهُ بالتأويل، وإنما يكون التأويل لمن آمن بالتنزيل؛ فَأَمَّا مَنْ أَلْحَدَ بالتنزيل فكيف

يناظر بالتأويل؟ **فقال المأمون**: ويخالفك بالتنزيل؟ **قلت**: نعم؛ ليخالفني، أو ليدعنَّ قوْلَهُ ومذهبَهُ وليوافقني. **قال**: فَنَاظِرْهُ بالتلاوة، ونصِّ التنزيل. **قلت**: نعم.

قال عبدالعزيز: فأقبلتُ علىٰ بشرٍ، **فقلتُ**: يا بشر، ما حجتك أَنَّ القرآن مخلوقٌ، وَانْظُرْ أَحَدَّ سَهْمٍ من كَنَانَتِكَ فَارْمِنِي به، ولا تَحْتَجْ إلىٰ معاودتي لغيره.

قال بشر: تقول يا عبدالعزيز؛ القرآن شيء أم غير شيء؟ فإن قُلْتَ: شيء، فقد أقررت أنه مخلوق؛ إذ كانت الأشياء كلها مخلوقة بنص التنزيل، وإن قلت: إنه ليس بشيء، فقد كفرت؛ لأنك تزعم أن حجة اللَّه علىٰ خلقه ليس بشيء.

قال عبدالعزيز: فقلت لبشر: ما رأيتُ أَعْجَبَ من هذا!! تسألني وتجيبُ عن نفسك، فَإِنْ تسألني لِأُجِيبَكَ؛ فَاسْمَعِ الجوابَ مني، فإني أُحْسِنُ أن أجيبك، وأعبر عن نفسي، وإنْ تُرِدْ أن تخطب وتتكلَّم؛ لِتبهتَني وتنسيني حُجَّتي، فلن أزداد ـ بتوفيق اللَّه إياي ـ إلا بصيرةً وفَهْمًا، وما أَحْسَبُكَ يا بشرُ إلَّا وقد تعلمتَ شيئًا، أو سمعتَ هذه المقالة ـ والتي قبلها ـ، أو قرأتها في كتاب؛ فأنتَ تَكْرَهُ أَنْ تقطعها حتىٰ تَأْتِيَ علىٰ آخرها.

فأقبل عليه المأمون، **وقال**: صَدَقَ عبدالعزيز؛ اسْمَعْ منه جوابَ ما سألتَهُ، ثم رُدَّ عليه بعد ذلك ما شِئْتَ؛ ثم قال لي: تكلَّم فَأَجِبْ يا عبدالعزيز لما سألك.

فقلتُ لبشر: سألتَ عن القرآن هو شيء أم غير شيء؛ فإن كنتَ تريد أنه شيء؛ إثباتًا للوجود، ونفيًا للعدم، فَنَعَمْ؛ هو شَيْءٌ، وإن كنتَ تريد أن الشيء اسمٌ له، وأنه كالأشياء؛ فَلَا.

فقال بشر: ما أدري ما تقول، ولا أفهمه، ولا أعقله، ولا أسمعه؛ ولا بُدَّ من جوابٍ يُعْقَلُ ويُفْهَم، إنه شيء أم غير شيء؟ قال: فقلتُ لبشرٍ: صَدَقْتَ؛ لأنك لا تفهم، ولا تعقل، ولا تسمع ما أقول، ولقد وصفت نفسك بِأَقْبَحِ الصِّفات، واخترت لها أَذَمَّ الاختيارات، ولقد ذم الله ﷻ قومًا في كتابه، وعلىٰ لسان نبيِّهِ ﷺ قَالُوا مِثْلَ مقالتك، وكانوا بمثل ما وصفتَ به نفسك؛ قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾، وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾﴾ [الزخرف: ٤٠]، وقال ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة: ١٦] إلىٰ قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]. ومثلُ هذا في القرآن كثيرٌ. ولقد مَدَحَ الله قومًا في كتابه بِحُسْنِ الاستماع، وَأَثْنَىٰ عليهم؛ فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨] الآية، وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣] الآية، وقال: ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ

ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فما اخترتَ لِنَفْسِكَ ما اخْتَارَهُ الرسول، ولا ما اختاره المؤمنون، ولا ما اختاره أَهْلُ الكتاب.

قال المأمون: دَعْ عنك هذا يا عبدالعزيز، وَارْجِعْ إلىٰ ما كنتَ فيه، وَبَيِّنْ ما قُلْتَهُ، وَاشْرَحْهُ من ذكر الشيء. فقلت: يا أمير المؤمنين، إِنَّ اللَّه أجرىٰ كلامه علىٰ ما أجراه علىٰ نفسه؛ إذ كان كَلَامُهُ من ذاته، ومن صفاته، فلم يَتَّسِمْ بالشيء، ولم يَجْعَلِ الشيء اسمًا من أسمائه؛ ولكنه دَلَّ علىٰ نفسه أنه شيء، وأنه أكبر الأشياء؛ إثباتًا للوجود، ونفيًا للعدم، وتكذيبًا للزنادقة، وَمَنْ تَقَدَّمَهُم ممن جَحَدَ مَعْرِفَتَه، وَأَنْكَرَ رُبُوبِيَّتَهُ من سائر الأمم؛ فقال لنبيِّه ﷺ: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾ [الأنعام: ١٩] . فَدَلَّ علىٰ نفسه أنه شيء كالأشياء، وَأَنْزَلَ في ذلك خبرًا خاصًّا مفردًا؛ لعلمه السابق أَنَّ جَهْمًا، وبشرًا، ومَنْ قال بقولهما سَيُلْحِدُونَ في أسمائه وصفاته، ويُشَبِّهُونَ علىٰ خلقه، ويُدْخِلُونَهُ وكلامه في الأشياء المخلوقة؛ فقال ﷻ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] . فأخرج نفسه، وكلامه، وصفاته من الأشياء المخلوقة بهذا الخبر؛ تكذيبًا لمن أَلْحَدَ في كتابه، وافترىٰ عليه، وَشَبَّهَهُ بخلقه؛ وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠] . ثُمَّ عَدَّدَ أَسْمَاءَهُ في كتابه، ولم يتسم بالشيء، ولم يَجْعَلِ الشيء اسمًا من أسمائه؛

قال النبي ﷺ: «إنَّ للهِ تِسعَةً وتسعِينَ اسمًا، مَنْ أَحصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ». ثُمَّ عدَّدها، فلم نَجِدْهُ جعل الشَّيْءَ اسمًا، فقلتُ كما قَالَ الله، وَتَأَدَّبْتُ بما أدبني الله، مُتَّبِعًا غير مُبْتَدِعٍ، ثمَّ ذكر - جلَّ ذِكْرُه - كَلَامَهُ كما ذكر نفسه، ودل عليه مثل ما دَلَّ علىٰ نفسه؛ لِيَعْلَمَ الخلق أنه من ذاته، وأنه صفةٌ من صفاته، فقال ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١] . فَذَمَّ الله مَنْ نَفَىٰ أن يكون كَلَامُهُ الذي أنزله علىٰ رسوله شيئًا، وذلك أن رجلًا من المسلمين نَاظَرَ رجلًا من اليهود بالمدينة، فَجَعَلَ المسلم يَحْتَجُّ علىٰ اليهودي من التوراة؛ بما عَلِمَ من صفة النبي ﷺ، وَذِكْرِ نبوته من التوراة، فضحك اليهوديُّ وَبَاهَتَ؛ فقال: ما أنزل الله علىٰ بشرٍ من شيء. فأنزل الله ﷻ تكذيبه، وَذَمَّ قوله، وأعظم فِرْيَتَهُ حين جَحَدَ أن يكون كلامُ الله شيئًا لَيْسَ كالأشياء، كما دَلَّ علىٰ نفسه أنه شَيْءٌ وليس كالأشياء، وقال في موضع آخر: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣] ؛ فَدَلَّ بهذا الخبر - أيضًا - علىٰ أن الوَحْيَ شَيْءٌ بالمعنى، وَذَمَّ من جَحَدَ أن يكون كلامُهُ شيئًا، فلما أَظْهَرَ اسْمَ كَلَامِهِ لم يُظْهِرْهُ باسم الشيء فيلحد الملحدون في ذلك، ويدخلونه في جملة الأشياء، ولكنه أظهره باسم الكتاب والنور والهدى، فقال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ٩١].

فأظهره باسم الكتاب والنور والهدى، ولم يَقُلْ: قل من أنزل الشيء الذي جاء به موسى، ويجعل الشيء اسمًا لكلامه؛ فكانت أسماء ظاهرة يُعرف بها، كما سَمَّىٰ نَفْسَهُ بأسماء ظاهرة يُعرف بها؛ فسمىٰ كلامَهُ نورًا، وهدًى، وشفاءً، ورحمةً، وحقًّا، وقرآنًا، وفرقانًا؛ لِعِلْمِهِ السابق في جَهْم، وبشرٍ، وَمَنْ يقول بقولهما أنهم سَيُلْحِدُونَ في كلامه، وَيُدْخِلُونَهُ في الأشياء المخلوقة.

فقال بشرٌ: يا أمير المؤمنين، قد أَقَرَّ عبدالعزيز أن القرآن شَيْءٌ، وَادَّعَىٰ أنه ليس كالأشياء. وَقُلْتُ أنا: إنه كالأشياء. فَلْيَأْتِ بنصِّ التنزيل كما أَخَذَ علىٰ نفسه أنه ليس كالأشياء، وَإِلَّا فقد بَطَلَ ما ادَّعاه، وَصَحَّ قولي: إنه مخلوق؛ إذ كُنَّا جميعًا قد اجتمعنا علىٰ أنه شيء، وقال الله ﷻ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢] بنصِّ التنزيل.

فقال المأمون: هذا يُلْزِمُكَ يا عبدالعزيز لما أخذت علىٰ نفسك. وجعل محمد بن الجهم وَغَيْرُهُ يَضُجُّونَ، ويقولون: ظَهَرَ أَمْرُ الله وهم كارهون، جاء الحقُّ، وَزَهَقَ الباطل، إنَّ الباطل كان زهوقًا. وطمعوا في قتلي، وَجَثَا بشرٌ علىٰ ركبتيه، وجعل يقول: أَقِرَّ واللهِ يا أمير المؤمنين بِخَلْقِ القرآن. وأمسكتُ فَلَمْ أتكلَّم؛ حتىٰ قال لي أمير المؤمنين: ما لَكَ لا تتكلَّم يا عبدالعزيز؟ فقلتُ: يا أمير المؤمنين، قد تكلَّم بشرٌ، وطالبني بنصِّ التنزيل علىٰ ما قُلْتُ، وهو المُنَاظِرُ لي، فضجيجُ هؤلاء إيش هو وأنا لم أنقطع، ولم أَعْجَزْ عن الجواب وإقامة الحُجَّة بنصِّ التنزيل علىٰ بشرٍ، كما طالبني،

ولستُ أتكلّم وفي المجلس أحدٌ يتكلم غير بشرٍ، إلَّا أن ينقطعَ بشرٌ عن الحجة، فيعتزل، ويتكلم غيْرُهُ.

فَصَاحَ المأمون لمحمد بن الجهم وغيره: أَمْسِكُوا. فَأَمْسَكُوا، وأقبلَ عليَّ، وقال: تكلّم يا عبدالعزيز، وَاحْتَجَّ لنفسك؛ فليس يعارضك غيْرُ بشرٍ. قال: قلتُ: قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل: ٤٠]، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس: ٨٢]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عِمرَان: ٤٧]. فَدَلَّ عَجَّلَّ بهذه الأخبار ـ وأشباه لها في القرآن كثيرة ـ علىٰ أَنَّ كلامَهُ ليس كالأشياء، وأنه غير الأشياء، وأنه خارجٌ عن الأشياء، وأنه يكوّن الأشياء، ثم أنزل الله عَجَّلَّ خبرًا مفردًا ذَكَرَ فيه خَلْقَ الأشياء كلها، فلم يَدَعْ منها شيئًا إلا ذَكَرَهُ وأدخله في خلقه، وأخرج كَلَامَهُ وَأَمْرَهُ من جملة الخلق، وَفَصَلَهُ منها؛ لِيَدُلَّ علىٰ أن كلامه غَيْرُ الأشياء المخلوقة وخارجٌ عنها؛ فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤]. فَجَمَعَ في قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ جَمِيعَ ما خلق، فلم يَدَعْ شيئًا، ثم قال: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾؛ يعني: والأمر الذي كان به الخلقُ خلقًا؛ فرقًا بين خَلْقِهِ وأمرِهِ، فجعل الخلق خلقًا والأمر أمرًا، وجعل هذا غَيْرَ هذا،

وقال: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠﴾ [القمر: ٥٠]، وقال: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤]؛ يعني: من قَبْلِ الخلق ومن بَعْدِ الخلق. ثم جمع الأشياء المخلوقة في آياتٍ كثيرة في كتابه، فأخبر عن خَلْقِهَا؛ وأنه خلقها بقوله وكلامه، وأن كلامَهُ وقولَهُ غيرها وخارجٌ عنها؛ فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ۝٨٥﴾ [الحجر: ٨٥]، وقال: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الأحقاف: ١:٣] وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الروم: ٨].

فقال المأمون: يُجزِئُكَ هذا أو بَعْضُهُ يا عبدالعزيز؛ فَاخْتَصِر. **فقلت:** يا أمير المؤمنين، قد أَخْبَرَ الله عن خلق السماوات والأرض وما بينهما، فلم يَدَعْ شيئًا من الخلق إلا ذَكَرَهُ، فأخبر عن خَلْقِهِ؛ أنه ما خَلَقَهُ إلَّا بالحق، وأن الحقَّ قولُهُ وكلامُهُ الذي به خَلَقَ الخلق كله، وأنه غَيْرُ الخلق، وأنه خارجٌ عن الخلق، وغير داخلٍ في الخلق، وهذا نصُّ التنزيل علىٰ أن كلامَ الله غَيْرُ الأشياء المخلوقة، وليس هو كالأشياء، وبه تكون الأشياء.

قال بشر: يا أمير المؤمنين، قَدِ ادَّعىٰ أن الأشياء لا تكون إلَّا بقوله، ثُمَّ

جاء بأشياء متباينات متفرقات، وزعم أن اللَّه يخلق بها الأشياء، فَأَكْذَبَ نفسه، وَنَقَضَ قوله، ورجع عَمَّا ادَّعاه من حَيْثُ لا يدري، وأمير المؤمنين شاهدٌ عليه، وهو الحاكم بيننا.

فأقبلَ المأمون عليَّ، **فقال**: يا عبدالعزيز، قد قال بشرٌ كلامًا قد قُلْتَهُ، ويحتاج أن تُصَحِّحَ قولك، ولا ينقض بَعْضُهُ بعضًا. وجعل بشرٌ يَصِيحُ: لو تركتَهُ يتكلَّم لجَاءَ بألف شَيْءٍ مما خلق اللَّه به الأشياء. **فقلت**: يا أمير المؤمنين، قد ذهبت بالحجج، وَرَضِيَ بشرٌ وأصحابُهُ بالضجيج، والترويج بالباطل، وقطع المجلس، وطلب الخلاص، ولا خلاص من اللَّه حتىٰ يُظْهِرَ دِينَهُ، ويقمع الباطل بالحقِّ، فيزهقه.

فصاح المأمون ببشر: أَقْبِلْ علىٰ صاحبك، وَاسْمَعْ منه، وَدَعْ هذا الضجيج. وكان المأمون قد قَعَدَ مِنَّا مقعد الحاكم من الخصوم، ثم أقبلَ المأمون، **وقال**: تكلَّم يا عبدالعزيز. **فقلت**: يا بشرُ، زعمتَ أني قد جئتُ بأشياء متباينات متفرقات، وَادَّعيت أن اللَّه خلق بها الأشياء، وما قُلْتُ إِلَّا ما قال اللَّه ﷻ، ولا أقول: إن اللَّه خَلَقَ الأشياء بقوله، وكلامه، وأمره (،وبالحق) وهذه أربعة أشياء، ولا إنه خَلَقَهَا إِلَّا بكلامه. **قال بشر**: يا أمير المؤمنين، قد قال: إن اللَّه خلق الأشياء بقولِهِ، وكلامِهِ، وأمرِهِ، وبالحقِّ، وهذه أربعة أشياء. **قال المأمون**: بَلْ قُلْتَ هذا يا عبدالعزيز. **فقلت**: صَدَقَ أمير المؤمنين، وقد قُلْتُ هذا؛ وهذه أربعة أشياء لِشَيْءٍ واحد؛ لأن كلامَ اللَّه هو قولُه، وقول اللَّه هو كلامُه، وأمر اللَّه هو كلامُه، وكلام اللَّه هو

أَمْرُهُ، وكلام اللَّه هو الحقُّ، والحق هو كلام اللَّه، فهذه أسماء لكلام اللَّه، وقد قَدَّمْتُ ذِكْرَ هذا؛ فقلت: إن اللَّه سَمَّىٰ كلامه نورًا، وهدًى، وشفاءً، ورحمةً، وقرآنًا، وفرقانًا، وبرهانًا، وَسَمَّاهُ الحق، وهذه أشياء شتىٰ لشيءٍ واحد؛ وهو كلام اللَّه، كما سَمَّىٰ نفسه بأسماء كثيرة؛ وهو واحدٌ صَمَدٌ فَرْد، وإنما يُنكر بشر هذا ويستعظمه؛ لقلة معرفته بلغة العرب.

قال بشر: قَدْ أَصَّلَ بيني وبينه كتاب اللَّه، وَزَعَمَ أنه لا يقبل إِلَّا بنصِّ التنزيل، فأين نصُّ التنزيل؛ أن كلامَ اللَّه هو قولُهُ وهو أمرُهُ، وأن كلامه هو الحق؟

فقال المأمون: هذا يُلزمكَ يا عبدالعزيز لما عقدتَ علىٰ نَفْسِكَ من الشرط.

فقلت: نَعَمْ يا أمير المؤمنين، وعليَّ أَنْ آتيَ بنصِّ التنزيل علىٰ ما قُلْتُ.

قال: فَهَاتِهِ. **قلتُ:** قال اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، وقد ذكر كلامه في القرآن: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]؛ وإنما يسمعه مِنْ قَارِئِهِ، وإنما عنىٰ القرآن ـ لا خلاف بين أهل العلم واللُّغة في ذلك ـ، وقال: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥]، وقال اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١]؛ فقد أخبر عن القرآن

أنه الحق، وقال: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ۝٦٦﴾ [الأنعام: ٦٦] فأخبر عن القرآن أنه الحق، وقال: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۝٩٤﴾ [يونس: ٩٤]؛ فأخبر عن القرآن أنه الحق، وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [السجدة: ٣]، وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]، وقال: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾ [القصص: ٥٣]؛ فأخبر أنه الحق.

فهذه أخبار الله كلها أن القرآن هو الحق، ثم ذكر ﷻ قوله فسمَّاهُ الحق، فأخبر أن الحقَّ قولُهُ. قال: ﴿فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ [ص: ٨٤] فأخبر أنه الحقُّ، وأن الحقَّ قولُهُ، وقال: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]، وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ: ٢٣].

فهذه أخبار الله أنه الحقُّ، وأن الحق قوله. ثم ذكرَ أن كلامه الحق، وأن الحق كلامه؛ فقال: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣﴾ [يونس: ٣٣]، وقال: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨٢﴾ [يونس: ٨٢]، وقال: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

فهذه أخبار الله أن الحق كلامه. وأخبر أن أَمْرَهُ هو القرآن ـ وهو كلامه ـ؛

فقال: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥﴾؛ يعني: القرآن، وقال: ﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾ [الطَّلَاق: ٥] ؛ يعني: القرآن.

فهذه أخبار اللَّه أن القرآن أمرُهُ وكلامُهُ، وأن أَمْرَهُ هو القرآن، وهذا تعليم اللَّه لخلقه وتأديبه لهم؛ فقلت - كما قال اللَّه -: إن القرآن كلام اللَّه، وإنه أمْرٌ من أمر اللَّه، وإنه الحق، وإن هذه أسماء لشيءٍ واحد؛ وهو الكلام الذي به خُلِقَتِ الأشياء، وهو غير الأشياء، وخارجٌ عن الأشياء، وليس هو كالأشياء. فهذا بنصِّ التنزيل، لا بتأويلٍ ولا بتفسير.

فقال المأمون: أَحْسَنْتَ يا عبدالعزيز. فقال بشرٌ: يا أمير المؤمنين، هذا يُحِبُّ أن يَخْطُبَ بما لا أسمعه، ولا أعقله، ولا ألتفتُ إليه، وما أَتَىٰ بحجة!! ولا أَقْبَلُ مِنْ هذا شيئًا. قال: قُلْتُ: يا أمير المؤمنين، مَنْ لا يعقلُ عن اللَّه ما يُخاطِبُ به نبيَّه، وما علَّمه لعباده في كتابه؛ يدَّعي العلم، ويحتج للمقالات والمذاهب، ويدعو الناس للبدع والضلال!!. قال بشر: أنا وأنت في هذا سَوَاء؛ تَنْتَزِعُ آياتٍ من آيات القرآن، لا تَعْلَمُ تفسيرها، ولا تأويلها، وأنا أَرُدُّ ذلك وَأَدْفَعُهُ حتىٰ تَأْتِيَ بما أَفْهَمُهُ وأعقله. قال عبدالعزيز: فقلتُ: يا أمير المؤمنين، فذاك كلامُ بشرٍ وتسويتُهُ فيما بيني وبينه، ولقد فَرَّقَ اللَّه فيما بيني وبينه، وَأَخْبرُ اللَّهَ أَنَّا علىٰ غير السَّوَى، وأكذبُهُ في دعواه.

فقال المأمون: وأين ذلك من كتاب اللَّه ﷻ؟ قلتُ: قال اللَّه ﷻ:

﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الرعد: ١٩]؛ فَأَنَا واللّٰهِ يا أمير المؤمنين، أَعَلَمُ أن الذي أُنزل عليه هو الحقُّ، وَأُؤْمِنُ به، وبشرٌ قد شَهِدَ علىٰ نَفْسِهِ أنه لا يعلمه، ولا يفهمه، ولا يعقله، ولا يَقْبَلُه، وأنه مما لا يَقُومُ لي به حُجَّة؛ فلم يَقُلْ كما قال اللّٰه ﷻ، ولا كما قال نبيه ﷺ، ولا كما قال موسىٰ عليه السلام، ولا كما قالت الملائكة، ولا كما قال المؤمنون، ولا كما قال أهل الكتاب؛ ولقد أَخْبَرَ اللّٰه عن جَهْلِهِ، وأزال عنه المذكرة، وأخرجه عن جملة أولي الألباب؛ لكن أمير المؤمنين لما خَصَّهُ اللّٰه به من الفَضْلِ والسُّؤدد، وَشَرَّفَهُ به من الحلم والفضل، وَرَزَقَهُ من الفَهْمِ والمعرفة ـ قد عَقَلَ عن اللّٰه قوله، وَعَرَفَ ما عنى؛ فَقَبِلَهُ وَاسْتَحْسَنَهُ ممن انتزع به بين يديه.

فقال بشر: قد أَقَرَّ بين يديك أَنَّ القرآن شَيْءٌ؛ فليكن عنده كَيْفَ شاء، فَقَدِ اتَّفَقْنَا جميعًا أنه شَيْءٌ، وقد قال اللّٰه ـ تعالىٰ ـ: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦]؛ فهذه لفظةٌ لم تَدَعْ شيئًا إلا أَدْخَلَتْهُ في الخلق، ولا يخرج عنها شَيْءٌ يُنْسَبُ إلىٰ الشيء؛ لأنها لفظة قَدِ اسْتَوْعَبَتِ الأشياء كلها، وأتت عليها؛ مما ذكرها اللّٰه ﷻ، ومما لم يذكرها، فصار القرآن مخلوقًا بنصِّ التنزيل، لا بتأويلٍ ولا بتفسيرٍ.

قال عبدالعزيز: فقلتُ: يا أمير المؤمنين، عليَّ أن أكسر قولَهُ، وأكذبه فيما قال بنصِّ التنزيل؛ حتىٰ يَرْجِعَ عن قَوْلِهِ، أو يَقِفَ أميرُ المؤمنين علىٰ كسر قوله، وبطلان دعواه.

فقال المأمون: قُلْ ما عندك. قلتُ: قال الله في قصة عاد: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥]؛ فهل أبْقَتِ الريحُ يا بشرُ شيئًا لم تُدَمِّرْهُ؟ قال: لا؛ قد دَمَّرَتْ كُلَّ شيء ـ كما أخبر الله عنها ـ، فلم يَبْقَ شيءٌ إلا وقد دَخَلَ تحت هذه اللفظة. فقلت: قد أكْذَبَ الله عَزَّ وَجَلَّ مَنْ قال هذا؛ بقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥]؛ فأَخْبَرَ أن مساكنهم كانت باقيةً بعد تدميرهم، وَمَسَاكِنُهُم أشياء كثيرة، وقد قال: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الذاريات: ٤٢]، وقد قال في قصة بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]؛ فهل بَقِيَ يا بشرُ شيءٌ لم تؤته بلقيس؟

قال: أنا أقول: إن هذه اللفظة تَجْمَعُ الأشياء كُلَّهَا.

فقلت: قد أكْذَبَ الله عَزَّ وَجَلَّ مَنْ قال هذا؛ لأن ملك سليمان كَمِثْلِ ملك بلقيس مئة ألف مرة؛ ولم تؤته.

وهذا كُلُّهُ مما يكسر قولك، وَيُبْطِلُ مذهبك، وَيُدْحِضُ حُجَّتَكَ، ومثل هذا في القرآن كثير؛ ولكن أَبْدَأُ بما هو أشنعُ وأظهرُ فضيحةً لمذهبك، وأدمغ لبدعتك. قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦]، وقال: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ [هود: ١٤]، وقال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١]؛ أَتُقِرُّ يا بشرُ أَنَّ لله علمًا ـ كما أخبر ـ، أو

تخالف التنزيل؟

قال: فَحَادَ بشرٌ عن جوابي، وَأَبَى أن يُصَرِّحَ بالكفر ـ فيقول: ليس لله عِلْمٌ ـ؛ فيكون قد رَدَّ نَصَّ التنزيل، فتبين ضَلالَتُهُ وكُفْرُهُ، وَأَبَى أن يُقِرَّ أن لله علمًا؛ فأسأله عن علم الله: هل هو داخلٌ في الأشياء المخلوقة أم لا؟ وَعَلِمَ ما أُريده، وأُلزِمُهُ في ذلك من كَسْرِ قَوْلِهِ، وإبطالِ مَذْهَبِهِ، وَدَحْضِ حُجَّتِهِ؛ فَاجْتَلَبَ كلامًا لم أَسْأَلْ عنه، وقال: الله لا يجهل. وهذا معنى العلم.

قال: فأقبلتُ على المأمون، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، لا يكون الخبر عن المعنى؛ فَلْيُقِرَّ بشرٌ أَنَّ لله علمًا ـ كما أخبرنا به في كتابه ـ، فإني سَائِلُهُ ما معنى العلم؟ وهذا مما لا أسأله عنه؛ إذ قال: إن الله لا يجهل. وقد حَادَ بشرٌ يا أمير المؤمنين عن جوابي.

فقال بشر: وهل تعرف الحيدة؟ قلتُ: نعم؛ إني لَأَعْرِفُ الحيدة في كتاب الله ـ وهي سبيل الكفار التي اتَّبَعْتَهَا ـ فقال لي المأمون: يا عبدالعزيز، أتعرف الحيدة في كتاب الله؟ قلتُ: نَعَمْ يا أمير المؤمنين، وفي سُنَّةِ المسلمين، وفي لغة العرب. قال المأمون: اذْكُرْ ذلك.

قلتُ: قال الله ـ تعالى ـ في قصة إبراهيم حِينَ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۝٧٣﴾. وإنما قال لهم إبراهيم هذا؛ ليذمَّهُم وَيَعِيبَ آلهتهم، وَيُسَفِّهَ أحلامهم، فعرفوا ما أراد بهم؛ فصاروا بين أمرَيْن: أن يقولوا: نَعَمْ؛ يسمعونا حين ندعوا، أو ينفعونا،

أو يضرونا، فيشهد عليهم بلغة قومهم أنهم كذبوا. أو يقولوا: لا يسمعونا حين ندعوا، ولا ينفعونا، ولا يضرونا، فَيَنْفُوا عن آلهتهم القدرة. وعلموا أن الحجة عليهم لإبراهيم؛ لأنهم في أَيِّ القولَيْنِ أجابوه؛ فَهُوَ عليهم، فَحَادُوا عن جوابه، وَاجْتَلَبُوا كلامًا من غَيْرِ ما سَأَلَهُمْ عنه، فقالوا: ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٧٤] . فلم يكن هذا جواب مسألته.

وأما الحيدة في سُنَّةِ المسلمين؛ فإنه يُرْوَىٰ عن عمر بن الخطاب ﷺ؛ أنه قال لمعاويةَ وَقَدْ قَدِمَ عليه، فرآه يكاد يتفقأ شحمًا، فقال: يا معاوية، ما هذه؟ لَعَلَّهَا من نومة الضُّحى، وَرَدِّ الخصوم. قال معاوية: يا أمير المؤمنين، عَلِّمْني وفهمني. ولم يَكُنْ هذا جوابًا لِقَوْلِ عمر ﷺ؛ ولكنه حَادَ عن جوابه؛ لِعِلْمِهِ بما عليه من رَدِّ الجواب، وَاجْتَلَبَ كلامًا من غير ما سأله عنه، فأجابه به.

وأما الحيدة في كلام العرب؛ فقول امرئ القيس في المعنى:

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الغبيطُ بنا مَعًا عَقَرْتَ بَعِيرِي يا امْرَأَ القَيْسِ فَانْزِلِ

فَقُلْتُ لها سِيرِي وَأَرْخِي زمامَهُ وَلَا تُبْعِدِينِي عَنْ خباكِ الـمُحَلَّلِ

ولم يكن هذا جوابًا لقولها، وإنما حَادَ عن جوابها؛ فَاجْتَلَبَ كلامًا غيره، فأجاب به.

فأقبل المأمون علىٰ بشرٍ، فقال: يَأْبَىٰ عليك عبدالعزيز إِلَّا أن تُقِرَّ أن لله علمًا؛ فَأَجِبْهُ ولا تحد عن جوابه. فقال بشر: قد أَجَبْتُهُ عن معنىٰ العلم أنه لا يجهل، وهذا هو جَوَابُهُ؛ ولكنه يَتَعَنَّت.

قال: **فقلت**: صَدَقَ ـ يا أمير المؤمنين ـ بشرٌ؛ أن الله لا يجهل، ولم تكن مسألتي له عن الجهل، إنما سألته عن العلم، فَلْيُقِرَّ أن لله علمًا؛ كما أخبرنا في كِتَابِهِ، وَأَثْبَتَهُ لنفسه، وَلْيَقُلْ: إن الله لا يجهل. بعد إِقْرَارِهِ بالعلم.

ثم التفتُّ إلىٰ بشر، **فقلت**: لا بد أن تُقِرَّ أن لله علمًا ـ كما أخبرنا في كتابه ـ أو تَرُدَّ إخبار الله بنصِّ التنزيل، أو يقف أمير المؤمنين علىٰ حيدتك عن جوابي. فجعل يقول: إن نَفْيَ الجهل عنه هو إثباتُ العلم له، وَإِنْ كان اللَّفْظَانِ مختلفَيْنِ. **فقلتُ**: يا أمير المؤمنين، إن نَفْيَ السوء لا يَثْبُتُ به المِدْحَة، وإن إثبات المِدْحَةِ ينفي السوء، وكذلك نفي الجهل لا يثبت العلم، وإثبات العلم ينفي الجهل.

قال بشرٌ: وكيف ذاك؟ **فقلت**: إن قولك هذا ـ الاضطراري ـ: إنه لا يجهل. ليس هو مِدْحَةً له، ولا إثباتًا للعلم.

قال عبدالعزيز: فأقبلتُ علىٰ المأمون، **فقلتُ**: يا أمير المؤمنين، إن الله عَجَّلَ لم يمدح في كتابه مَلَكًا مقربًا، ولا نبيًّا مرسلًا، ولا مؤمنًا تقيًّا بِنَفْيِ الجهل عنه؛ لِيَدُلَّ علىٰ إثبات العلم له، وإنما مَدَحَهُم بإثبات العلم لهم، فَنَفَىٰ بذلك الجهل عنهم، فقال وقد مدح الملائكة: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾؛ ولم يَقُلْ: لا يجهلون. وقال لنبيه ﷺ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة: ٤٣] . وقال في مَدْحِهِ المؤمنين: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] ؛ لم يقل: الذين لا يجهلون.

وهذا قَوْلُ اللّٰه وَمَدْحُهُ لملائكته، ولنبيه ﷺ، وللمؤمنين؛ فمن أثبت العلم نَفَىٰ الجهل، ومن نَفَىٰ الجهل لم يُثْبِتِ العلم. فما اختار بشرٌ ما اختاره اللّٰه لملائكته، ولا لنبيه، ولا من حيث اختار لعباده المؤمنين.

فأقبلَ عليَّ المأمون، وقال لي: يا عبدالعزيز، قد حَادَ بشرٌ عن جوابك، وقد أَبَىٰ أن يُقِرَّ أن لله علمًا، ماذا تتكلم أنت عنه في الإقرار بذلك؟ قلتُ: نَعَمْ يا أمير المؤمنين؛ إذا أَقَرَّ أن لله علمًا، سألتُهُ عن علم اللّٰه: هل هو داخلٌ في الأشياء المخلوقة حين احتجَّ بقوله: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦]، وزعم أنه لم يَبْقَ شَيْءٌ إلَّا وقد أتىٰ عليه هذا الخبر؟ فإن قال: عِلْمُ اللّٰه داخلٌ في الأشياء المخلوقة. فَقَدْ شَبَّهَ اللّٰه بِخَلْقِهِ الذين أخرجهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئًا، وكُلُّ مَنْ تقدَّم قبل عِلْمِهِ فقد دخل عليه الجهل فيما بين وُجُودِهِ إلىٰ حدوث عِلْمِهِ، وهذه صفة المخلوقين، واللّٰه أَعْظَمُ وَأَجَلُّ أن يُوصَفَ بذلك أو يُنسب إليه، وَمَنْ قال ذلك فقد كَفَرَ، وَحَلَّ دَمُهُ، ووجب علىٰ المؤمنين قَتْلُهُ. وإن قال: إن عِلْمَ اللّٰه خارجٌ عن جملة الأشياء المخلوقة، وغير ذلك داخلٌ فيها، فقد رَجَعَ عن قَوْلِهِ وَأَكْذَبَ نفسه.

وقلتُ أنا: وكذلك كلامُهُ خارجٌ عن جملة الأشياء المخلوقة، غير داخلٍ فيها.

فقال المأمون: أَحْسَنْتَ يا عبدالعزيز، وإنما فرَّ بشرٌ أَنْ يُجِيبَكَ في هذه المسألة لهذا.

ثُمَّ أقبلَ عليَّ المأمون، وقال: يا عبدالعزيز، إن اللَّه عالم؟ **قلتُ**: نَعَمْ يا أمير المؤمنين. **قال**: فتقول: إن لله عِلْمًا؟ **قلتُ**: نَعَمْ يا أمير المؤمنين. **قال**: فتقول: إن اللَّه سميعٌ بصير؟ **قلتُ**: نَعَمْ يا أمير المؤمنين. **قال**: فتقول: إن لله سَمْعًا وَبَصَرًا؟ **قلتُ**: لَا يا أمير المؤمنين. **قال**: فَافْرُقْ بين ذلك.

قال عبدالعزيز: فقلت: يا أمير المؤمنين، وقد قَدَّمْتُ إليك فيما احْتَجَجْتُ به؛ أن علىٰ الناس جميعًا أن يُثْبِتُوا ما أثبت اللَّه، وينفوا ما نَفَىٰ اللَّه، وَيُمْسِكُوا عَمَّا أمسك اللَّه عنه؛ فأخبرنا اللَّه ﷻ أن له علمًا، فقلتُ: إن له علمًا كما أخبر. وأخبرنا أنه عالم؛ بقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣] ؛ **فقلتُ**: إنه عالم كما أخبر. وأخبرنا أنه سميعٌ بصير، **فقلت**: إنه سميعٌ بصير كما أخبر في كتابه. ولم يُخْبِرْ أن له سَمْعًا وَلا بَصَرًا؛ فأمسكتُ عنه إمساكه، ولم أَقُلْ: إن له سمعًا ولا بصرًا.

فقال المأمون لبشرٍ وأصحابِهِ: ما هو بِمُشَبِّهٍ؛ فلا تكذبوا عليه. **فقال بشرٌ**: قد زعمتَ يا عبدالعزيز أن لله علمًا؛ فَأَيُّ شَيْءٍ هو علم اللَّه، وما معنىٰ علم اللَّه؟

فقلتُ له: هذا مما تَفَرَّدَ اللَّه بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، فلم يُخبر به مَلَكًا مُقَرَّبًا، ولا نبيًّا مُرْسَلًا، بل احْتَجَبَهُ عن الخلق جميعهم، فلم يَعْلَمْهُ أحدٌ قبلي، ولن يَعْلَمَهُ أحدٌ بعدي؛ لأن عِلْمَهُ أكثرُ وأعظمُ من أن يَعْلَمَهُ أَحَدٌ من خلقه. أَلَمْ تَسْمَعْ إلىٰ قوله ﷻ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، **وقال**: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ

أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾، وقال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ﴾ [الأنعام: ٥٩] ، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧] ؛ أتدري يا بشرُ ما معنىٰ هذا؟ وَأَيُّ شَيْءٍ مما نحن فيه؟ فقال المأمون: قُلْ أَنْتَ يا عبدالعزيز؛ ما عَنَىٰ بهذا، وَفَهِّمْ بشرًا، وَاشْرَحْهُ.

قلتُ: نَعَمْ يا أمير المؤمنين؛ يعني بقوله هذا: ولو أَنَّ ما في الأرض من جميع الشجر، والخشب، والقصب أقلامٌ يُكْتَبُ بها، والبَحْرُ مدادٌ يمدُّهُ من بَعْدِهِ سبعة أبحر، والخلائق كُلُّهُم يَكْتُبونَ بهذه الأقلام من هذا البحر ـ ما نَفِدَتْ كلماتُ اللَّهِ: فَمَنْ يَبْلُغُ عَقْلُهُ، وفَهْمُهُ، وَفِكْرُهُ، كُنْهَ عَظَمَةِ اللَّه، وَسَعَةَ عِلْمِهِ؟

وقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩] ؛ فمن يحدُّ هذا أو يَصِفُهُ أو يدَّعي عِلْمَهُ؟ وقد عَجَزَتِ الملائكة المقربون عن عِلْمِ ذلك، واعترفوا بالعجز عنه؛ فقالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢] ، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤] .

وَسُئِلَ النبيُّ ﷺ عن علم الساعة، فقال: «عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي في خَمْسٍ

لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ»، وَتَلَا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية. فأخبر النبي ﷺ أن هذه الخمس مما تَفَرَّدَ الله بِعِلْمِهَا، فلا يَعْلَمُهَا إلا هو؛ فإذا كان النبيُّ ﷺ لا يَعْلَمُ من عِلْمِ الله إلا ما علمه، فكيف يَجُوزُ لِأَحَدٍ من أُمَّتِهِ أن يتكلف عِلْمًا، أو يَدَّعِيَ معرفة؟

قال بشرٌ: دَعْ عنك هذا الخطاب؛ لَا بُدَّ من جواب: أَيُّ شَيْءٍ هو عِلْمُ الله بنصِّ التنزيل؟ أو يَقِفُ أمير المؤمنين علىٰ أنك قد حِدْتَ عن الجواب؛ فَأَكُونُ أنا وأنت في الحَيْدَةِ سواء.

قال عبدالعزيز: فقلتُ له: إنك لَتَأْمُرُنِي بما نَهَانِي الله عنه، وَحَرَّمَ عليَّ القول به، وَتَأْمُرُنِي بما أمرني به الشيطان، وَلَسْتُ أَعْصِي رَبِّي وَأَرْتَكِبُ نَهْيَهُ، وَأُطِيعُ الشيطان وَأَتَّبِعُ أَمْرَهُ وَأَمْرَكَ؛ إن كنتما قد أمرتماني بخلاف ما أمرني به ربِّي؛ بل نهاني.

فَاشْتَدَّ تبسُّم أمير المؤمنين ـ المأمون ـ مِنْ قولي، ثُمَّ قال:

يا عبدالعزيز، أَمَرَكَ بشرٌ بما نهاك الله عنه، وَحَرَّمَ عليك القول به، وأمرك به الشيطان؟ قلت: نَعَمْ يا أمير المؤمنين. قال: وَأَيْنَ ذلك من كتاب الله ﷻ، أو من سُنَّةِ نبيه ﷺ؟ قُلْتُ: بَلْ من كتاب الله بنصِّ التنزيل. قال: فَهَاتِهِ.

قلتُ: قال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ

سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٣] . وأمرهم الشيطان بِضِدِّ ذلك، فقال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩] ؛ فأخبر الله ﷻ أَنَّ الشيطان يَأْمُرُ الناسَ بأن يقولوا على الله ما لا يعلمون؛ فَنَهَاهُم عَنِ اتِّبَاعِهِ، وَقَبُولِ قَوْلِهِ.

فهذا تَحْرِيمُ الله وَنَهْيُهُ لنا يا أمير المؤمنين؛ أن نقول عليه ما لا نعلم، وهذا أَمْرُ الشيطان لنا؛ أن نقول على الله ما لا نعلم، وَقَدِ اتَّبَعَ بشرٌ يا أمير المؤمنين سَبِيلَ الشيطان التي نَهَاهُ الله عَنِ اتِّبَاعِهَا، وَوَافَقَهُ على قوله، وأمرني بمثل ما أمرني به الشيطان؛ أن أَقُولَ على الله ما لا أعلم.

فَكَثُرَ تبسُّم المأمون حتى غَطَّى بيده على فِيهِ، وأطرق يَنْكُتُ في الأرض بِيَدِهِ على السرير.

فقال بشر: أَخْبِرْنِي يا عبدالعزيز لو وَرَدَ عليك اثنان، وقد تَنَازَعَا في عِلْمِ الله، فقال أحدهما: حلفتُ بالطلاق أَنَّ عِلْمَ الله هو الله. وقال الآخر: حلفت بالطلاق أَنَّ عِلْمَ الله غير الله. فَقَالَا لك: أَفْتِنَا في أَيْمَانِنَا، وَأَجِبْنَا عن مَسْأَلَتِنَا؛ ما كان جوابك لهما؟

فقلتُ: الإِمْسَاكُ عنهما، وتركهما وجهلهما، وصرفهما بغير جَوَابٍ.

فقال بشر: يلزمُكَ إذا كُنْتَ تدَّعي العلم، ويجبُ عليك إجابتهما في مسألتهما، وإخراجهما من أيمانهما، وَإِلَّا فَأَنْتَ وهما في الجَهْلِ سواء.

قال عبدالعزيز: فقلت لبشر: يَجِبُ عليَّ أن أُجِيبَ كُلَّ من سألني عن مسألةٍ، لا أَجِدُ لها في كتاب اللَّه، ولا في سُنَّةِ رسوله ذِكْرًا! نعم؛ فقد جَهِلَ السائل، وَحَمُقَ الحلَّاف عليها. **فقال بشر:** يجب عليك ويلزمُكَ أَنْ تُجِيبَهُ عن مسألته، وَتُخْرِجَهُ عن يمينه إذا كان لا بُدَّ لمسألته من جواب.

فقلت له: هذا تَقُولُهُ من كتاب اللَّه، أو من سُنَّةِ رسوله ﷺ، أو من قَوْلِ أَحَدٍ من أهل العلم؟ **فقال:** هذا قَوْلُ الخلق جميعًا بِلَا خلاف فيه عندهم.

قال عبدالعزيز: فقلتُ: هذا قَوْلُ أَهْلِ الجهل، وَكُلُّ العلماء يُخَالِفُونَكَ في هذا ويُنكرونه. ثُمَّ أقبلتُ علىٰ المأمون، **فقلتُ:** قد سَمِعْتَ ما قال بشر؛ أنه يَجِبُ عليَّ جَوَابُ كل من سألني عن مسألةٍ لا أَجِدُ لها في كتاب اللَّه، ولا في سُنَّةِ رسول اللَّه ﷺ مخرجًا، وَفُتْيَاهُ، وَإِخْرَاجُهُ من يمينه؟ **قال المأمون:** قد حَفِظْتَ قَوْلَهُ.

فقلتُ: يا أمير المؤمنين، لو وَرَدَ عليَّ ثلاثة نَفَرٍ، فتنازعوا في الكوكب الذي أَخْبَرَ اللَّه أَنَّ إبراهيم رآه؛ بقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنعام: ٧٦]؛ فقال أحدهم: حلفتُ بالطلاق أنه المشترى. وقال الآخر: حلفتُ بالطلاق أنه الزهرة. وقال آخر: حلفتُ بالطلاق أنه المريخ. فَأَجِبْنَا عن مسألتنا، وَأَفْتِنَا في أيماننا. أَكَانَ عليَّ أَنْ أُجِيبَهُم في مسألتهم، وأفتيهم في أيمانهم، وذلك لم يخبرنا اللَّه ولا رسوله به؟!

فقال المأمون: وما ذَاكَ بواجبٍ، وَلَا لَكَ بلازمٍ.

فقلتُ له: يا أمير المؤمنين، فلو وَرَدَ عليَّ ثلاثةُ نفرٍ، قد تنازعوا في

الأقلام التي أَخْبرَ اللَّه عنها؛ بقوله: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عِمرَان: ٤٤] فقال أحدهم: حلفتُ بالطلاق أنها من نحاس. وقال الآخر: حلفتُ بالطلاق أنها فضة. وقال آخر: حلفتُ بالطلاق أن الأقلام خشب. فَأَجِبْنَا عن مسألتنا، وَأَفْتِنَا في أيماننا. وذلك مما لم يُخْبِرِ اللَّه به ولا رسولِه، ولا يُوجَدُ عِلْمُهُ في كتابٍ ولا في سُنَّة؛ أكان عليَّ يا أمير المؤمنين أن أُجِيبَهُم عن مسألتهم، وأفتيهم في أيمانهم؟ **فقال المأمون:** لا؛ ما ذَاكَ بواجبٍ عليك، ولا يلزمك.

قلتُ: فلو وَرَدَ عليَّ ثلاثة نفرٍ، قد تنازعوا في المؤذِّن الذي أَخْبرَ اللَّه عنه في كتابه؛ بقوله: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤]؛ **فقال أحدهم:** حلفتُ بالطلاق أَنَّ المؤذن من الإنس. **وقال الآخر:** حلفتُ بالطلاق أَنَّ المؤذن من الجن. **وقال آخر:** حلفتُ بالطلاق أَنَّ المؤذن من الملائكة. فَأَجِبْنَا عن مسألتنا، وَأَفْتِنَا في أيماننا. أَكَانَ عليَّ إجابتهم، وذلك مما لم يُخْبِرِ اللَّه ﷻ، ولا رسول اللَّه ﷺ، ولا يُوجَدُ عِلْمُهُ في كتابِ اللَّه، ولا في سُنَّةِ رسول اللَّه ﷺ؟

قال المأمون: ما ذَاكَ عليك بواجبٍ، وَلَا لَكَ بلازمٍ.

فقلتُ: صَدَقْتَ يا أمير المؤمنين؛ لا يَجُوزُ لي ولا لغيري إِجَابَتُهُم عن مسألتهم، ولا قَبُولُ قَوْلِهِم في أيمانهم، إِلَّا أن يكون ﷻ قد أَخْبرَ به في كتابه، وعلىٰ لسان نبيه محمد ﷺ. وإذا لم يَجُزْ هذا في خَلْقِ اللَّه؛ فيكف يجوز الجواب علىٰ علم اللَّه ﷻ؟! وهو مما لم يوجد في كتاب

اللَّه، ولا في سُنَّةِ نبيه محمد ﷺ، وَقَدْ أَكْذَبَ اللَّه بِشْرًا علىٰ لسان أمير المؤمنين؛ فيما ادَّعَاهُ من وجوبِ الجواب في فتوىٰ مَنْ جهل في مسألة، وَحَمِقَ في يَمِينه.

فقال المأمون: أَحْسَنْتَ يا عبدالعزيز. فقال بشر: واحدةٌ بواحدةٍ يا أمير المؤمنين؛ سألني عبدالعزيز أَنْ أُقِرَّ أن لله عِلْمًا فلم أُجِبْهُ، وسألتُهُ عَمَّا هو علم اللَّه فلم يُجِبْنِي؛ فَقَدِ اسْتَوَيْنَا في الحيدة، ونخرجُ من هذه المسألة إلىٰ غيرها، وَنَدَعُهَا من غير حُجَّةٍ تَثْبُتُ لأحدنا علىٰ الآخر.

قال عبدالعزيز: فقلتُ: يا أمير المؤمنين، إِنَّ بِشْرًا قد أُفْحِمَ وَانْقَطَعَ الجواب، وَدُحِضَتْ حُجَّتُهُ، وَبَانَتْ فَضِيحَتُهُ، وَبَقِيَ بلا حُجَّةٍ يُقِيمُهَا لمذهبه الذي هو عليه، ويدعو إليه؛ فَلَجَأَ يسألني مسألة محال، يَحْتَجُّ بها مِنِّي؛ ليقول: سألني عبدالعزيز عن مسألةٍ فَلَمْ أُجِبْهُ، وسألتُهُ عن مسألةٍ فلم يُجِبْنِي فيها. وقد قال ذلك الساعة، وأنا وبشرٌ يا أمير المؤمنين علىٰ غير السواء في مسألتنا؛ لأني سألتُهُ عما أخبرنا اللَّه في كتابه في مواضع كثيرة، وَشَهِدَ به علىٰ نفسه، وشهدت له به الملائكة؛ بقوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء: ١٦٦]. فأخبرنا بِعِلْمِهِ، وَشَهِدَ به لنفسه، وَشَهِدَ له به ملائكتُهُ، وتَعَبَّدَ اللَّه نبيه وسائر الخلق، بالإقرار به، والإيمان به؛ بقوله: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورى: ١٥]. وَبِشْرٌ يا أمير المؤمنين يَأْبَىٰ أن يؤمن بذلك، أو يُقِرَّ به أو يُصَدِّقَ، وسألني بِشْرٌ عن مسألةٍ سَتَرَ اللَّه عِلْمَهَا عن

ملائكتِهِ وأنبيائه، وعن رُسُلِهِ وَأَهْلِ ولايته جميعًا، وَعَنِّي وعن بِشْرٍ، وعن سائر الخلق ممن مضىٰ في سائر الدَّهْر، وَمَنْ هو آتٍ إلىٰ يوم القيامة، فلم يَعْلَمْهُ أحدٌ قبلنا، ولم يَعْلَمْهُ أحدٌ بعدنا؛ فلم يكن لي أن أجِيبَهُ عن مسألته، وإنما يَدْخُلُ النَّقْصُ عليَّ - يا أمير المؤمنين -، لو كان بِشْرٌ يَعْلَمُ ما سألني عنه، أو غَيْرُهُ من العلماء، وَكُنْتُ لا أعلم؛ فَأَمَّا إذا اجتمعنا جميعًا - أنا وبشرٌ وسائرُ الخلق - في جَهْلٍ، فليس الضرر بداخلٍ عليَّ دُونَهُ، وهذه مسألة لا يحلُّ لأحدٍ أن يسأل عنها، ولا يحلُّ لأحدٍ أن يُجِيبَ عنها؛ لأن الله عَجَلَّ حَرَّمَ ذلك، وَحَظَرَهُ، وَنَهَىٰ عنه.

فقال المأمون: أنتما في مَسْأَلَتِكُمَا علىٰ غير السواء، وقد صَحَّ قَوْلُكَ في هذه المسألة، وبان ووضح يا عبدالعزيز، وظهرت حُجَّتُكَ علىٰ بِشْرٍ فيها.

قال عبدالعزيز: ورأيتُ بشرًا قد حَادَ وَانْقَطَعَ، وصحَّ ما في يدي، واستبان الحق، ووضح لأمير المؤمنين، ولسائر من بحضرته، وَشَهِدَ لي أمير المؤمنين بذلك. **فقلتُ:** يا أمير المؤمنين، لَسْتُ أَدَعُ بشرًا حتىٰ أَكْسَرَ قَوْلَهُ، وَأُدْحِضَ حُجَّتَهُ مِنْ كُلِّ جهة، وأرجع إلىٰ أَوَّلِ المسألة، وأدع ذِكْرَ العلم، وأحتج بما يُبْطِلُ دعواه، وَيَفْضَحُ مَذْهَبَهُ. **فقال المأمون:** قد أَصَبْتَ يا عبدالعزيز؛ بِتَرْكِكَ الكلام فيما قَطَعَ المجلس من غير أن يَرْجِعَ إليك عن مسألتك جوابٌ، وقد وَقَفْنَا من قَوْلِكَ وَشَرْحِكَ علىٰ ما يلزم بِشْرًا في هذه المسألة - ولو أجابَكَ عن مسألتك -؛ فَاخْرُجْ عنها إلىٰ غَيْرِهَا كما قُلْتَ، واحتجَّ علىٰ بشرٍ بغيرها.

قال عبدالعزيز: فقلتُ: يا أمير المؤمنين، أَيَجِبُ علىٰ مَنْ كال بمكيالٍ أن يوفيَ؟ فقال: ذلك يلزمُهُ.

فقلتُ: يا بشرُ، تَزْعُمُ أَنَّ قول الله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢] لا يخرج عنها شيءٌ؛ لأن تلك كلمةٌ تجمع الأشياء كلها، فلا تَدَعُ شيئًا يخرج عنها، وَكُلُّ ذلك داخلٌ فيها؟! قال بشرٌ: نَعَمْ؛ هكذا قُلْتُ، هكذا أَقُولُ، ولستُ أرجع عن قولي لكثرة خطبك وَهَذَيَانِكَ. فقلتُ: يا أمير المؤمنين، شاهدٌ عليه بهذا؟ قال المأمون: أنا شاهدٌ عليه بهذا، فتكلَّم بما تُريد.

فقلت: يا بشرُ، قال الله ﷻ: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه: ٤١]، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عِمران: ٢٨]، وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]؛ فقد أخبرنا الله ﷻ في مَوَاضِعَ كثيرةٍ من كتابه؛ أَنَّ له نَفْسًا، فَتُقِرُّ يا بشرُ أَنَّ لله نفسًا ـ كما أخبرنا عنها ـ؟ قال: نعم. فقلتُ: يا أمير المؤمنين، اشْهَدْ عليه أنه أَقَرَّ أَنَّ لله نَفْسًا. قال: نعم؛ قد سَمِعْتُ قولَه، وشهدتُ عليه. فقلتُ: قال الله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عِمران: ١٨٥]. فتقول يا بشر: إِنَّ نَفْسَ الله ﷻ داخلةٌ في هذه النفوس التي تذوق الموت؟ فَصَاحَ بأعلىٰ صَوْتِهِ ـ وكان جهوري الصَّوت ـ: مَعَاذَ الله، مَعَاذَ الله.

قال عبدالعزيز: فرفعتُ صوتي، وقلتُ: إِذًا؛ مَعَاذَ الله أن يكون كَلَامُ

الله داخلًا في الأشياء المخلوقة، كما أن نَفْسَهُ ليست بداخلةٍ في الأشياء الميتة.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين، قَدْ سألني؛ فَلْيَسْمَعْ كلامي، وَلْيَدَعِ الضجيجَ والصِّياح. **قلتُ له:** تكلَّم بما شِئْتَ. **فقال بشر:** وَإِنْ كانت نَفْسُ اللَّه غَيْرَ اللَّه، أو هو هو؛ فليست بداخلةٍ في هذه النفوس. **فقلت له:** كم أُلقي إليك أنِّي أَقُولُ بالخبر، وَأُمْسِكُ عن عِلْمِ ما سُتِرَ عني؛ وإنما قُلْتُ: إن لله نفسًا كما أخبر في كتابه، وَأَقْرَرْتُ بذلكَ عندي، فليكن عندكَ علىٰ أَيِّ مَعْنًى شِئْتَ، وقل: إنها داخلة في هذه النفوس أم لا؟ وَدَعْ عنك كلام الخطرات والوسواس. **فقال:** أَنْتَ رَجُلٌ مُتَعَنِّتٌ، وليس عندي جوابٌ غير هذا.

فقال عبدالعزيز: فقلتُ: يا أمير المؤمنين، قد كَسَرْتُ قَوْلَهُ في هذه المسألة بالقول الأول، والقول الثاني في باب العِلْمِ، وَكَسَرْتُ قَوْلَهُ بِعَضْبِهِ، وَدَحَضْتُ حُجَّتَهُ بمذهبه، وَبَطَلَ ما كان يدعو إليه من بِدْعَتِهِ، وَبَانَ لأمير المؤمنين قُبْحُ مَذْهَبِهِ، وَفُحْشُ قَوْلِهِ.

فأقبلَ عليَّ المأمون، **وقال:** يا عبدالعزيز، قد وَضَحَتْ حُجَّتُكَ، وَبَانَ قَوْلُكَ، وَانْكَسَرَ قَوْلُ بشرٍ في هذه المسألة، ونحتاجُ أن تَشْرَحَ لنا هذه الأخبار في القرآن، ومعانيها، وما أراد اللَّه ﷻ.

قال عبدالعزيز: فقلتُ: يا أمير المؤمنين، إِنَّ اللَّه ﷻ شَرَّفَ العرب، وَكَرَّمَهُم، وأنزل القرآن بلسانهم؛ فقال اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا

عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢] ، وقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: ٩٧] . فَخَصَّ اللَّه عَجَّلَ العربَ بِفَهْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَفَضَّلَهُم علىٰ غيرهم بِعِلْمِ أخباره، ومعاني ألفاظه، وخصوصِهِ وعمومِهِ، وَمُحْكَمِهِ وَمُبْهَمِهِ، وَخَاطَبَهُم بما عقلوه وَعَلِمُوهُ ولم يجهلوه؛ إذ كانوا قبل نُزُولِهِ عليهم يتعاملون بمثل ذلك في خطابهم، فأنزل اللَّه عَجَّلَ القرآن علىٰ أربعة أخبارٍ خاصة وعامة:

فمنها: خَبَرٌ مخرجُه مخرجُ الخصوص، ومعناه معنىٰ الخصوص؛ وهو قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: ٧١] ، وقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] ، ثُمَّ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣] . والناس اسمٌ يجمع آدم وعيسىٰ وما بينهما، وما بعدهما؛ فَعَقَلَ المؤمنون عن اللَّه عَجَّلَ أنه لم يَعْنِ آدم وعيسى؛ لأنه قَدَّمَ خَبَرَ خَلْقِهِمَا.

ومنها: خَبَرٌ مخرجُهُ مخرجُ العموم، ومعناه معنىٰ الخصوص؛ وهو قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] . فعقل عن اللَّه أنه لم يَعْنِ إبليس فِيمَنْ تَسَعُهُ الرحمة؛ لما تَقَدَّمَ فيه من الخبر الخاصِّ قبل ذلك؛ وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٥] . فَصَارَ معنىٰ ذلك الخبر العام خاصًّا؛ لخروج إبليس وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ سَعَةِ رحمة اللَّه التي وَسِعَتْ كُلَّ شيء.

ومنها: خَبَرٌ مخرجُهُ مخرجُ الخصوص، ومعناه معنىٰ العموم؛ وهو

قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ۝٤٩﴾ [النجم: ٤٩] . فكان مخرجُهُ خاصًّا، ومعناه عامًّا. ومنها: خَبَرٌ مخرجُهُ مخرجُ العموم، ومعناه العموم.

فهذه الأربعة الأخبار خَصَّ اللَّه العربَ بِفَهْمِهَا، ومعرفة معانيها وألفاظها، وخصوصها وعمومِها، والخطاب بها، ثُمَّ لم يَدَعْهَا؛ اشتباهًا علىٰ خَلْقِهِ؛ وفيها بيانٌ ظاهرٌ لا يَخْفَىٰ علىٰ من تَدَبَّرَهُ من غير العرب، ممن يعرف الخاص والعام.

فلما قَدَّمَ إلينا ﷻ في نفسه خبرًا خاصًّا؛ أنه حيٌّ لا يموت، بقوله ﷻ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] ، ثُمَّ أنزل خبرًا مخرجُهُ مخرجُ العموم، ومعناه الخصوص؛ فقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عِمران: ١٨٥] . فَعَقَلَ المؤمنون عن اللَّه ﷻ أنه لم يَعْنِ نفسه مع هذه النفوس؛ لما قَدَّمَ إليهم من الخبر الخاص.

وكذلك قَدَّمَ إلينا في كتابه خَبَرًا خاصًّا: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل: ٤٠] ؛ فَدَلَّ علىٰ قوله باسم مفرد، فقال: ﴿إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾ [النحل: ٤٠] ، ولم يَقُلْ: إذا أردناهما. فَفَرَّقَ بين القول، والشيء المخلوق الذي يكون بالقول مخلوقًا، ثُمَّ قال ﷻ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢] . فَعَقَلَ المؤمنون عن اللَّه ﷻ أنه لم يَعْنِ كلامَهُ وقوله في الأشياء المخلوقة؛ لما قَدَّمَ من الخبر الخاص.

فقال المأمون: أَحْسَنْتَ؛ فَاخْرُجَا منها إلىٰ غيرها.

فقال بشر: قد خَطَبْتَ وَتَكَلَّمْتَ وَهَذَيْتَ، وتركْتُكَ تفرحُ بما ادَّعيت

عليٍّ من إبطال خلق القرآن بنصِّ التنزيل، وَهَاهُنَا آيةٌ من كتاب اللَّه لا يَتَهَيَّأُ لك مُعَارَضَتُهَا وَدَفْعُهَا، ولا التشبيه فيها؛ كما فعلتَ في غيرها بنصِّ خلق القرآن، وإنما أَخَّرْتُهَا لِيَكُونَ انقضاء المجلس بها، وفيها سَفْكُ دَمِكَ.

قال عبدالعزيز: فقلتُ لبشر: هَاتِهَا وأنا أُشْهِدُ أمير المؤمنين علىٰ نفسي أَنِّي أَوَّلُ مَنْ يَتَّبِعُكَ عليها، ويقولُ بها، وَيَرْجِعُ عن قَوْلِهِ، وَيُكَذِّبُ نفسه، ويتوبُ إلىٰ اللَّه ﷻ - إن كان معك بنصِّ التنزيل، وَمَنْ خَالَفَكَ فهو كَافِرٌ. واللَّهِ لَوِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ والجِنُّ علىٰ أن يأتوا بِمِثْلِ ما قلت لم يأتوا به، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا.

قال بشر: قال اللَّه - تعالىٰ -: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣].

فقلتُ: لا أَعْلَمُ أحدًا من المؤمنين إلَّا وهو مؤمنٌ بهذا، وَيُقِرُّ به، ويقول: إِنَّ اللَّه جَعَلَهُ عربيًّا. فَأَيُّ شَيْءٍ في هذا مِنَ الحُجَّةِ والدليل علىٰ خَلْقِهِ؟! فقال بشرٌ: هل في الخلق أَحَدٌ يَشُكُّ في هذا أو يخالف عليه؛ إن معنىٰ ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾: خلقناهُ.

قال: فقلتُ: يا أمير المؤمنين، ذَهَبَ نصُّ التنزيل الذي ادَّعىٰ أنه يأتي به، وَرَجَعْنَا إلىٰ معناه وتأويله. قال بشر: ما هذا إلَّا نَصُّ التنزيل، وما هذا بتأويلٍ ولا بتفسيرٍ.

قال: فأقبلتُ علىٰ المأمون، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن القرآن نَزَلَ بلسانِكَ ولسانِ قَوْمِكَ، وأنت أَعْلَمُ أَهْلِ الأرض بِلُغَةِ قومِكَ، ولغة العرب كلها، ومعاني كلامها، وَبِشْرٌ رجلٌ من أبناء العجم يَتَأَوَّلُ كتاب اللَّه

- تعالىٰ - علىٰ غير ما أُنزِلَ، وغير ما عناه الله ﷻ، وَيُحَرِّفُهُ عن مَوَاضِعِهِ، وَيُبَدِّلُ معانيه، ويقولُ ما تُنكِرُهُ العربُ وكلامها ولغاتها، وأنت أَعْلَمُ خَلْقِ الله بذلك، وإنما يُكَفِّرُ بِشْرٌ الناسَ، ويستبيحُ دِمَاءَهُم بتأويلٍ لا بتنزيلٍ.

فجعل بشرٌ يقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١] ؛ يَرُوغُ عبدالعزيز إلىٰ الكلام، والخطب، والاستعانة بأمير المؤمنين؛ لِيَنْقَطِعَ المجلس. قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩] ، ثم ضَرَبَ بشرٌ بِيَدِهِ علىٰ فَخْذِهِ وَغَمَزَ، وقال: قد أَتَيْتُكَ بما لا تَقْدِرُ علىٰ رَدِّهِ، ولا التشبيه فيه؛ لينقطع المجلس بثبات الحُجَّةِ عليك، وإيجاب العقوبة لك، فإِنْ كان عندك شيءٌ فتكلَّم به، وَإِلَّا فقد قَطَعَ الله مقالتك، وَأَدْحَضَ حُجَّتَكَ.

وَجَعَلَ يَصِيحُ، ويقول: فَرَّخْنَاكَ أَوَّلَ المجلسِ وَأَطْمَعْنَاكَ؛ حتىٰ اسْتَطَلْتَ في الكلام، وتفرغت، وَتَوَهَّمْتَ أنك قد قدرتَ علىٰ ما أَرَدْتَ، فأين كلامُكَ؟! وأين احتجاجُكَ؟! حَصَلَ ما أَخْرَسَكَ، وَذَهَبَ بعقلِكَ، وأباح دَمَكَ؛ قال الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤]. قال: اشتغلَ قلبي بقلبك، والفكر في ذٰلكَ.

قال عبدالعزيز: فأقبلَ عليٌّ المأمون، فقال: يا عبدالعزيز، مَا لَكَ قد أَمْسَكْتَ فلا تتكلَّم؟! أَجِبْهُ إِنْ كان عندك جوابٌ لمسألتِهِ.

قلتُ: ليس يَدَعُني أُجِيبُهُ، ولا أُكَلِّمُهُ من ضَجِيجِهِ وجلبته؛ كأنه قد جاء بِحُجَّةٍ، فإن سَكَتَ تَكَلَّمْتُ وَأَجَبْتُهُ، وكسرتُ قَوْلَهُ، وأدحضتُ

حُجَّتَهُ ـ بإذن الله ـ، وإن كانت غَايَتهُ أن يَهْذِيَ وَيَصِيحَ وَيُرَوِّجَ الكلام، تَرَكْتُهُ؛ وأمير المؤمنين أَعْلَىٰ عينًا بما يراه. فَصَاحَ به المأمون: أَمْسِكْ وَاسْمَعْ من الرجلِ جَوَابَ ما سَأَلْتَهُ عنه، وَدَعْ عنك الهذيان. وأقبلَ عليَّ المأمون، فقال: تكلَّم يا عبدالعزيز بما تُريد.

فقلتُ: يا أمير المؤمنين، ما خَفِيَ عليك ما جَرَىٰ اليوم في مجلسِكَ، وَلَنِعْمَ الحاكم أنت، وَجَزَاكَ الله عني وعن رَعِيَّتِكَ خيرًا، وَبِشْرٌ يُؤَوِّلُ الشَّيْءَ علىٰ ما يَخْطُرُ بِبَالِهِ بغير علمٍ ولا حقيقةٍ لقوله؛ فَإِنْ رَأَىٰ أمير المؤمنين أن يَتَحَفَّظَ علينا ألفاظنا، وما يَجْرِي بيننا في هذه المسألة، وَيَشْهَد علينا بما نقول من الكتاب أو السُّنة ـ فَعَلَ، فقال أمير المؤمنين: أنا أَفْعَلُ ذلك منذ اليوم؛ حتىٰ لو احْتِيجَ إلىٰ إعادة ما مَضَىٰ لأَعَدْتُهُ عليكما.

فأقبلتُ علىٰ بشر، فقلتُ: يا بشرُ أَخْبِرْنِي عن «جعل»؛ هذا الحرفُ لحكم لا يحتملُ غير الخَلْقِ؟ قال: لا؛ وما بين «جَعَلَ» و«خَلَقَ» عندي فَرْقٌ، ولا عند أَحَدٍ غيري من سائر الناس ـ من العرب ولا من العجم ـ، ولا يتعارف الناس إلا هذا.

قلتُ لبشرٍ: أَخْبِرْنِي عن نفسك، وَدَعْ ذِكْرَ العرب، وسائر الناس؛ فأنا مِنَ الناس، ومن الخلق، ومن العرب، وأنا أُخَالِفُكَ علىٰ هذا، وكذلك سَائِرُ العرب يخالفونك. قال بِشْرٌ: هذه دعوىٰ منك علىٰ العرب، وَكُلُّ العرب والعجم يَقُولُونَ ما قُلْتُ أنا، وما يُخَالِفُ في هذا غَيْرُكَ.

فقلتُ: أَخْبِرْنِي يا بشرُ إجماع العرب والعجم ـ بِزَعْمِكَ أَنَّ «جعل» و«خلق» واحدٌ لا فَرْقَ بينهما ـ في هذا الحرف وحده، أو في سائر ما في

القرآن من «جعل»؟ قال بشر: بل ما في سائر القرآن من «جعل»، وسائر ما في الكلام والأخبار والأشعار.

فقلتُ: قد حَفِظَ عليكَ أمير المؤمنين ما قُلْتَ، وَشَهِدَ به عليكَ. **قال بشر**: أنا أُعِيدُ عليك هذا القول متىٰ شِئْتَ، ولا أَرْجِعُ عنه، ولا أُخَالِفُهُ.

فقلتُ لبشر: زعمت أن معنىٰ ﴿جَعَلْنَهُ﴾: خَلَقْنَاهُ قرآنًا عربيًّا؟ **قال**: نعم؛ هكذا قُلْتُ، وهكذا أقولُ أبدًا. فقلتُ له: أَخْبِرْنِي، تَفَرَّدَ اللَّه بخلق القرآن أو شَارَكَهُ فِي خَلْقِهِ أحدٌ غيره؟ **فقال**: بَلِ اللَّه تَفَرَّدَ في خَلْقِهِ، ولم يَشْرَكْهُ في خَلْقِهِ أَحَدٌ غيره. **فقلتُ له**: أَخْبِرْنِي عَمَّن قال: بَعْضُ وَلَدِ آدم خَلَقَ القرآن من دون اللَّه. أَمُؤْمِنٌ هو أم كَافِرٌ؟ **قال بشر**: كافرٌ حَلَالُ الدَّمِ. **فقلتُ**: صَدَقْتَ؛ إنه كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ.

قلتُ: فَأَخْبِرْنِي عَمَّن قال: التوراة خَلَقَتْهَا اليهود من دون اللَّه ﷻ. أمؤمن هو أم كافر؟ **قال**: بَلْ كافرٌ حَلَالُ الدَّمِ.

قلتُ: صَدَقْتَ؛ إنه كَافِرٌ حَلَالُ الدم بإجماع الأُمَّة. **قلتُ**: فأخبِرني عَمَّن قال: إن بني آدم خَلَقُوا اللَّه، وإنَّ اللَّه ـ تعالىٰ ـ أَخْبَرَ بذلك في كتابه. أمؤمن هو أم كافر؟ **قال بشر**: بل كَافِرٌ حلال الدم. **فقلتُ**: يا بشرُ، اللَّه خَلَقَ الـخَلْقَ كُلَّهُم؟ **قال**: بَلَى. **قلتُ**: فهل شَارَكَهُ في خَلْقِهِم أحدٌ من خَلْقِهِ؟ **قال**: لا. **قلتُ**: صَدَقْتَ؛ فأخبرني عَمَّن قال: إن بني آدم شَارَكُوهُ في خَلْقِه. أمؤمنٌ هو أم كافر؟ **قال**: بَلْ كافرٌ حَلَالُ الدم. **قلتُ**: صَدَقْتَ، وهكذا أقول أنا ـ أيضًا ـ.

قال بشرٌ: فقد قَعَدْتَ لِتُجِيبَنِي؛ إيش هذا مما نحن فيه!! إنما تُرِيد أن

تشغلني؛ حتىٰ يؤذنَ الظُّهر، وينقطعَ المجلس؛ رَجاءَ أن تَنصَرِفَ منه سالمًا، وهذا مِمَّا لا يَكونُ، فَإِنْ كان عندك جوابٌ فَقَدِ انقَطَعَ الكلام، وإيش هذه الخرافات والمحنة الباردة!! هَاتِ ما عِندَكَ.

فقلتُ: قال الله ﷻ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١]: خَلَقْتُمُ الله عليكم كفيلًا، لا معنىٰ له عند بِشْرٍ غير ذلك، ثم **قال:** مَنْ قَالَ هذا فهو كَافِرٌ حَلَالُ الدم؛ فلم يَرْضَ بِشْرٌ أن يقول: بنو آدم خَلَقُوا الله. حتىٰ زَعَمَ أن الله قال ذلك، وَشَهِدَ لهم في كتابه. ومن قال هذا فَقَدْ أَعْظَمَ الفِرْيَة علىٰ الله ﷻ، وَكَفَر به، وَحَلَّ دَمُهُ بإجماع الأمة.

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]؛ فَزَعَمَ بشرٌ أن معنىٰ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ﴾: ولا تخلقوا الله. لا مَعْنىٰ له عِنْدَهُ غير ذاك، ثم **قال:** من قال هذا فهو كَافِرٌ حَلَالُ الدم بإجماع الأمة، وَكُلُّ من قال هذا مِنَ الخلق فهو كَافِرٌ حَلَالُ الدم بإجماع الأمة؛ لأنه حَكَىٰ أن الله أَخْبَرَ بمثل هذا.

وقال الله ﷻ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ﴾ [النحل: ٥٧]؛ فزعم بشرٌ أن معنىٰ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾: يخلقون لله البنات. لا معنىٰ لذلك غير هذا، ثم **قال:** من قال هذا فهو كَافِرٌ حلال الدم.

فقال المأمون: ما أَقْبَحَ هذه المقالة وَأَعْظَمَهَا وَأَشْنَعَهَا، فَحَسْبُكَ يا عبدالعزيز؛ فقد صَحَّ قولُكَ، وَأَقَرَّ بشرٌ بما حكيتَ عنه، وَكَفَّرَ نَفْسَهُ من حيثُ لم يَدْرِ. **فقلتُ:** يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تَأْذَنَ لي أن أَنْتَزِعَ

بآياتٍ بقيت وأختصر. قال المأمون: قُلْ ما شِئْتَ.

قلتُ: قال الله ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]؛ فزَعَمَ بشرٌ أن معنىٰ ﴿جَعَلُوا لِلَّهِ﴾: خلقوا لله أندادًا. ثُمَّ قال: من قال هذا فهو كافِرٌ حلال الدم. وَقَدْ صَدَقَ أنه من قال هذا فهو كَافِرٌ حلال الدم؛ إذ كان قد أَخْبَرَ بمثل هذا عن الله ﷻ.

وقال: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠]؛ فزعم بشرٌ أن معنىٰ ﴿جَعَلُوا﴾: خَلَقُوا لله. لا معنىٰ لـذلك غيـر هذا، ثُمَّ قال: مَنْ قال هـذا فهو كَافِرٌ حَلَالُ الدم بإجماع الأمة؛ إذ حَكَىٰ الله ﷻ مِثْلَ هذا.

وقال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد: ٣٣]؛ فَزَعَمَ بشرٌ أن معنىٰ ﴿جَعَلُوا﴾ [الرعد: ١٦]: خلقوا. لا معنىٰ لذلك غيره؛ وقد كَذَّبَ ـ تعالىٰ ـ بشرًا في قَوْلِهِ هذا، ونزل الرد بقوله، فأخبر عن كُفْرِهِ: ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾ [الرعد: ٣٣] الآية. فَأَخْبَرَ ـ تعالىٰ ـ عن كُفْرِ بِشْرٍ، وَكَذَّبَ قَوْلَهُ، وَنَفَاهُ عن نَفْسِهِ.

وقال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠] الآية. فَزَعَمَ بشرٌ أن معنىٰ ﴿جَعَلَا لَهُ﴾: خَلَقَا له شركاء. لا معنىٰ له غير ذلك عنده، ثُمَّ قال: من قال هذا فهو كَافِرٌ حَلَالُ الدم. وقد صَدَقَ؛ مَنْ قال هذا فهو كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ بإجماع الأُمَّة.

ومثله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ [الزخرف: ١٩] ، ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾ [الرعد: ١٦] . وأمثال هذا في القرآن يَطُولُ ذِكْرُهُ؛ مما يدل على كُفْرِ بشرٍ، وَإِحْلَالِ دَمِهِ.

وقال تَعَالَىٰ: ﴿عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾؛ فَزَعَمَ بشرٌ أن المقتسمين خَلَقُوا القرآن. لا معنىٰ له عنده غيره؛ فَصَارَ القرآن عنده مخلوقًا بِخَلْقِ المقتسمين له، لا بخلق الرحمن. ثُمَّ قال: مَنْ قال هذا فقد كَفَرَ وَحُلَّ دَمُهُ. وقد صَدَقَ؛ إن مَنْ قال هذا فهو كَافِرٌ حلال الدم بإجماع الأمة.

وقال - تعالىٰ -: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١] ؛ فزعم بشرٌ أن اليهود خَلَقَتِ التوراة. ثُمَّ قال: من قال هذا فهو كَافِرٌ حلالُ الدم بإجماع الأمة. وقد صَدَقَ.

قال عبدالعزيز: فأقبلَ عليَّ المأمون، **وقال:** حَسْبُكَ يا عبدالعزيز، فقد أَقَرَّ بشرٌ علىٰ نفسه بالكُفْرِ وإحلال الدم، وَأَشْهَدَنِي علىٰ نَفْسِهِ بذلك، وقد صَدَقْتَ فيما قُلْتَهُ؛ ولكنه قَالَ ما قَالَ وهو لا يَعْقِلُ، ولا يَعْلَمُ ما عليه فيه.

فقلتُ: إنما خَاطَبْتُ أمير المؤمنين، وَأَسْتَشْهِدُهُ علىٰ ما حَصَلَ في يدي، وَأَقَرَّ به بشرٌ، وَأَشْهَدَ به علىٰ نفسه، وَعَلِمْتُ أن أمير المؤمنين قد حَفِظَ عليَّ كلامَهُ وألفاظَهُ، ولولا ذلك ما اجترأتُ علىٰ أن أَحْكِيَ عنه حكاية،

وَأَسْتَشْهِدَ به عليه بها، فلم أحصها عليه.

فقال المأمون: صَدَقْتَ يا عبدالعزيز. ثم أقبلَ عليَّ المأمون، **وقال:** تكلَّم يا عبدالعزيز في بيان هذا؛ في ذِكْرِ «جعل» و«خلق» الذي في القرآن، وَفَرِّقْ ما بين «جعل» و«خلق»، وَاشْرَحْ ذلك؛ لِيَقِفَ عليه مَنْ يَحْضُرُنَا، ويعرفه.

قلتُ: نَعَمْ يا أمير المؤمنين؛ ولكن إن رأيت أَنَّكَ تَأْذَنُ لي، فأقول قَبْلَ البيان والشرح أشياء في هذا المعنى؛ مما أَكْسَرُ به قَوْلَ بشرٍ، وَأُدْحِضُ به حُجَّتَهُ، وَأَكْسِرُ مَذْهَبَهُ، وَأُبْطِلُ بها اعْتِقَادَهُ. **فقال:** قُلْ وَلَا تُطِلْ إنما هو شَيْءٌ أدرسُهُ دَرْسًا.

قال: فقلتُ: قال ﷻ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢]، وقال في مَوْضِعٍ آخَرَ لنبيِّهِ عليه السلام: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ﴾ [الإسراء: ٣٩]؛ فَزَعَمَ بشرٌ أن اللَّه قال لنبيه: ولا تَخْلُقْ مع اللَّه إلهًا آخر. فلا أَعْظَمَ قولًا من هذا، ولا أَشْنَع. وقال اللَّه ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩]؛ فزعم بشرٌ أن اللَّه قال لنبيه: ولا تَخْلُقْ يَدَكَ. واللَّه خَلَقَهُ خَلْقًا تامًّا مستويًا، وَزَعَمَ أن اللَّه بَعَثَهُ رسولًا، وليس له يَدٌ، ثُمَّ خَاطَبَهُ بعد الرسالة بهذا الخطاب.

فمن أَقْبَحُ قولًا وَأَفْحَشُ ممن قال هذا؟

وقال اللَّه ﷻ في قصة موسىٰ وفرعون، وقوله لموسى: ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ

مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]؛ فزَعَمَ بشرٌ أن فِرْعَوْنَ قال لموسىٰ - وقد بَعَثَهُ اللَّه رسولًا -: «لأخلقنك». فأيُّ قولٍ أَقْبَحُ من هذا؟! وقال في قصة موسى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]؛ فزعم بشرٌ أن اللَّه - تعالىٰ - وَعَدَ أُمَّ موسىٰ أن يَرُدَّهُ إليها، وَيَخْلُقَهُ من المرسلين. واللَّه - تعالىٰ - أمَرَهَا بعد خلقِهِ وولادتِهِ ورضاعِهِ أَنْ تُلقيه في اليم، وَوَعَدَها أن يَرُدَّهُ إليها بعد أن تُلقيه، وهو غير مخلوق. وقال اللَّه - تعالىٰ -: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]؛ فزَعَمَ بشرٌ أن اللَّه - تعالىٰ - قال لعباده: ولا تَخْلُقُوا دعاء الرسول.

وقال: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص: ٥]؛ فوعد بعد خَلْقِهِم. فزَعَمَ بشرٌ أن اللَّه وَعَدَهُم أن يَمُنَّ عليهم وَيَخْلُقَهُم.

وقال اللَّه ﷻ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]؛ وإنما خَاطَبَهُ بالخلافة بعد أَنْ خَلَقَهُ، وبعد أن جَاهَدَ في سبيلِهِ، وقاتل أَعْدَاءَهُ، وَقَتَلَ جالوت. فزعم بشرٌ أن اللَّه ﷻ قال: إِنَّا خَلَقْنَاكَ خليفةً في الأرض.

وقال اللَّه - تعالىٰ - عن إبراهيم وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]؛ فَأَخْبَرَ أنهما دَعَوَا ربهما، وهما مخلوقان. ما أقبح هذا القول!!. وقال اللَّه ﷻ: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣]؛ فأخبر أنه ما جعل ذلك كذلك؛ تكذيبًا لمن جعل ذلك. وزعم بشرٌ أَنَّ اللَّه - تعالىٰ - ما خَلَقَ البحيرة والسائبة

والوصيلة والحام، وإنما خلقها الكافر من دون الله ﷻ. وَمَنْ قال هذا فقد كَفَرَ بالله ـ تعالىٰ ـ.

فقال المأمون: حَسْبُكَ؛ فقد أُثْبِتَتْ حُجَّتُكَ في هذه كُلها ـ كما في المسألة الأولىٰ ـ، وَانكَسَرَ قَوْلُ بشرٍ، وَبَطَلَتْ دعواه؛ فَارْجِعْ إلىٰ بيانِ ما قَدِ انْتَزَعْتَ، وَشَرْحِهِ ومعانيه، وما أراد الله ﷻ به، وما هو مِنْ جَعْلٍ مخلوقٍ، وما هو غير مخلوقٍ، وما تتعامل به العرب في لغاتهم، وَفَرِّقْ ما بين هذا وهذا.

قال عبدالعزيز: فقلتُ: يا أمير المؤمنين، إِنَّ **«جعل»** في كتاب الله يَحْتَمِلُ عند العرب معنَيَيْن: معنىٰ خلق، ومعنىٰ صير. فلما كان خَلْقُ خلقًا محكمًا لا يحتملُ غير المخلوقين، فكان من صَنْعَةِ الخالق ـ لم يَتَعَبَّدِ الله به العباد، فيقول: اخْلُقُوا ولا تَخْلُقُوا؛ إذ كان الـخَلْقُ لَيْسَ من صناعة المخلوقين، وإنما هو من فِعْلِ الخالق.

ولما كان **«جعل»** يحتملُ معنيين ـ معنىٰ خلق، ومعنىٰ صير ـ، لم يَدَعِ الله في ذلك اشتباهًا علىٰ خَلْقِهِ؛ فَيُلْحِدُ الملحدون، وَيُشَبِّهُ المشبهون علىٰ خَلْقِهِ، كما فعل بشرٌ وأصحابه؛ حتىٰ جَعَلَ ﷻ علىٰ كُلٍّ من الكلمتَيْنْ علمًا ودليلًا، فَرَّقَ به بين **«جعل»** الذي بمعنىٰ خلق، و**«جعل»** الذي بمعنىٰ صير.

فأما **«جعل»** الذي هو علىٰ معنىٰ خلق؛ فإن الله ﷻ جَعَلَهُ من القول المفصل، فأنزل القرآن به مفصلًا، وهو بيِّنٌ لقومٍ يفقهون، والقول المفصل

يستغني السامع - إذا أُخبر به - عن أن تُوصَلَ له الكلمةُ بغيرها من الكلام؛ إذ كانت قائمة بذاتها علىٰ معناها. فمن ذلك قَوْلُ اللَّه عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]؛ فسواء عند العرب قال: «جعل»، أو قال: «خلق»؛ لأنها قد عَلِمَتْ أنه أراد بها «خلق»؛ لأنه أَنْزَلَهُ مِنَ القَوْلِ المفصل. وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢]؛ فقالَتِ العربُ إنَّ معنىٰ هذا: وخلق لكم؛ إذ كان قولًا مفصلًا. وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [النحل: ٧٨]؛ فَعَقَلَتِ العربُ عنه أنه عَنَى: خلق لكم؛ إذ كان من القول المفصل. فسواء قال: «خلق» أو «جعل».

وأما «جعل» الذي هو علىٰ معنىٰ التصيير - لا معنىٰ الخلق -؛ فإن اللَّه - تعالىٰ - أَنْزَلَهُ من القول الموصل، الذي لا يدري المخاطب به؛ حتىٰ يَصِلَ الكلمةَ بكلمةٍ بعدها، فيعلم ما أراد بها. وَإِنْ تَرَكَهَا مفصولةً لم يَصِلْهَا بغيرها من الكلام، لم يَفْهَمِ السامعُ لها ما يُعْنَىٰ بها، ولم يَقِفْ علىٰ ما أراد بها. فمن ذلك: قولُهُ - تعالىٰ -: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]؛ فلو قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ﴾ [ص: ٢٦]، وَلَمْ يَصِلْهَا بـ ﴿خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]. لم يَعْقِلْ داود ما خَاطَبَهُ به اللَّه - تعالىٰ -؛ لأنه خَاطَبَهُ وهو مخلوق، فلما وَصَلَهَا بـ ﴿خَلِيفَةً﴾ [ص: ٢٦]، عَقَلَ داود ما أراد بِخِطَابِهِ.

وكذلك حين قال لِأُمِّ موسى: ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:

٧]؛ فَلَوْ لَمْ يَصِلْ «جَاعِلُوهُ» [القَصَص: ٧] بـ ﴿مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]؛ لم تَعْقِلْ أُمُّ موسىٰ ما عَنَىٰ اللَّه ـ تعالىٰ ـ بقوله: «جَاعِلُوهُ» [القَصَص: ٧] ؛ إذ كان خَلْقُ موسىٰ متقدمًا لِرَدِّهِ إليها، فلما وَصَلَ «جَاعِلُوهُ» [القَصَص: ٧] بـ ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القَصَص: ٧] ؛ عَقَلَتْ أُمُّ موسىٰ مَا أَرَادَ اللَّه ـ تعالىٰ ـ بخطابها. وكذلك قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] ؛ فلو لم يَقُلْ: ﴿دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] لم يَعْقِلْ أحدٌ ما أراد بقوله هذا؛ إذ كان خَلْقُ الجبل متقدمًا قبل أن يَتَجلَّىٰ له، فلما وَصَلَهُ بذلك عَقَلَ السامعُ ما أراد بقوله.

وكذلك قوله ـ سبحانه ـ: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البَقَرَة: ١٢٨]؛ فلو لم يَصِلْ «اجْعَلْنَا» [البَقَرَة: ١٢٨] بـ ﴿مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البَقَرَة: ١٢٨] . لم يَعْقِلِ السامعُ لهذا الدُّعاء ما أَرَادَا بِقَوْلِهِمَا: ﴿وَٱجْعَلْنَا﴾ [البَقَرَة: ١٢٨] . فلماوَصَلَهُ بـ﴿مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البَقَرَة: ١٢٨] عَقَلَ السامعُ ما أَرَادَا بدعوتهما. وكذلك قول إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥] ؛ فلو لم يَصِل ﴿ٱلْبَلَدَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] بـ ﴿ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥] ، لم يَعْقِلْ أَحَدٌ ممن سمع دُعَاءَهُ ما عَنَىٰ به وَمَا أراد؛ إذ كان البلدُ قد خُلِقَ متقدمًا لخلق إبراهيم، فلما وصل ﴿ٱلْبَلَدَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] بـ ﴿ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥] عَقَلَ السامعُ ما أراد به وما عَنَىٰ.

وَمِثْلُ هذا كثيرٌ في القرآن يا أمير المؤمنين. والذي تَعرِفُ العربُ التعاملَ به في لغاتها، وخطابها، ومعاني كلامها، ومخارج ألفاظها؛ هو الذي جَرَتْ عليه سُنَّةُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ في كتابه؛ إذ كان إنما أُنْزِلَ القرآن بلسانها

وَالْتَفَّ علىٰ بُنْيَانِهَا، فَخَاطَبَهُمُ اللَّه ﷻ بما عقلوه وعرفوه، ولم يُنكروه؛ وهذا القول المفصل والموصل. فأرجع أنا وبشرٌ يا أمير المؤمنين فيما اخْتَلَفْنَا فيه مِنْ قَوْلِ اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] إلىٰ سُنَّةِ اللَّه في كتابه في الجعلَيْن جميعًا، وإلىٰ سُنَّةِ العرب - أيضًا - مِمَّا تتعارفه وتتعامل به، فَإِنْ كان من القول الموصل؛ فهو كما قلت: إن اللَّه جعله قرآنًا عربيًا؛ أي: صيره قرآنًا عربيًا، وأنزله بِلُغَةِ العرب ولسانها، ولم يصيره أعجميًا فَيُبيِّن له بلغة العجم. وإن كان من القول المفصل؛ فهو كما قال بشرٌ: إنَّ اللَّه خَلَقَهُ قرآنًا عربيًا. ولم تجد ذلك أبدًا، وإنما دَخَلَ الجهلُ - يا أمير المؤمنين - علىٰ بِشْرٍ وَمَنْ قال بقوله؛ لأنهم ليسوا من العرب، ولا عِلْمَ لهم بِلُغَةِ العرب ومعاني كلامها، فَتَأَوَّلَ القرآن علىٰ لُغَةِ العجم التي لا تَفْقَهُ ما تَقُول، وأنها تَتَكَلَّمُ بالشَّيْءِ كما يجري علىٰ لسانها، وكُلُّ كلامهم يَنْقُضُ بَعْضُهُ بعضًا، ولا يعتقدون ذلك من أَنْفُسِهِم، ولا يَعْتَقِدُهُ عليهم غَيْرُهُم؛ لكثرة خَطَئِهِم وَلَحْنِهِم وَادِّعَائِهِم لذلك.

وَسَمِعْتُ عبدالملك بن قريب الأصمعي، وقد سَأَلَهُ رَجُلٌ؛ فقال له: أتدغم الفاء بالباء؟ فَتَبَسَّمَ الأصمعي، وَقَبَضَ علىٰ يدي - وكان لي إِلْفًا صَدِيقًا -، فقال: أما تَسْمَعُ يا أبا محمد؟! ثم أقبلَ علىٰ السائل، وهو متعجبٌ من مسألته، فقال: يا هذا، أَتُدْغِمُ الفاء في الباء في لغة أخرىٰ؛ لغة ماني الساساني يقولون[1]، فيدغمون الفاء في الباء، فَأَمَّا العربُ فلا

(١) كذا بياض في الأصل.

تَعْرِفُ هذا.

قال عبدالعزيز: فَاشْتَدَّ تَبَسُّم المأمون من قول الأَصْمَعِيِّ، وَوَضَعَ يَدَهُ علىٰ فِيهِ، فقلتُ: وهذا الذي يَأْتِينَا به بشرٌ مِنْ لُغَةِ أصحاب ماني الساساني.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين، يَذُمُّنَا وَيُكَفِّرُنَا، ويقول: إِنَّا نُحَرِّفُ القرآنَ عن مَوَاضِعِهِ، وقد وَضَعَ من شَأْنِ القرآن وَقَدْرِهِ، وَسَمَّاهُ بِأَنْقَصِ الأسماء، وَوَصَفَهُ بِأَخَسِّ الصفات وأقلِّها؛ لأن الله ـ تعالىٰ ـ سَمَّاهُ كتابًا عربيًّا، وسماه كريمًا، فَأَخْبَرَ عنه أنه تامٌّ كاملٌ؛ بقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] . وَسَمَّاهُ عبدالعزيز موصلًا ومفصلًا، فَخَالَفَ كتاب الله وضَعَّفَهُ، وَذَمَّ ما مَدَحَ الله؛ لأن الموصل عند العرب والعجم وسائر الخلق: دُونَ التامِّ الصحيح الكاملِ؛ إذ كان الموصل عندهم جميعًا: هو الملصق الذي وُصِلَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَلُفِقَ بَعْضُهُ ببعضٍ. فإذا أَرَادَ الرجلُ من العرب وَغَيْرِهِم أن يَضَعَ من قَدْرِ الشيء، قال: هو موصلٌ ملفقٌ، وليس هو صحيح. وإن قُطِعَ الثوب، قيل: مفصل مقطع. فَسَمَّىٰ عبدالعزيز كتابَ الله اسمًا ناقصًا ذميمًا، وقال إثمًا وبهتانًا عظيمًا، ولو قُلْتُ أنا هذا أَوْ مَا دُونَهُ لَخَطَبَ وَصَاحَ وَجَلَبَ، واستغاثَ بأمير المؤمنين، وأخرجني عن الإسلام؛ وهو يَقُولُ العظائم اليوم، وأميرُ المؤمنين يَحْلُمُ عليه، وهو يَبْغِي لِحِلْمِهِ عليه.

فقال عبدالعزيز: فقلتُ لبشرٍ: وهذا ـ أيضًا ـ من جَهْلِكَ لما في كتاب

اللّه، تَذُمُّني وَتَزْعُمُ أني سَمَّيتُ كلام اللّه ناقصًا، وَتُغْرِي بي أمير المؤمنين، وهو أعلمُ خَلْقِ اللّه بما قُلْتُهُ وَأَوْضَحْتُهُ، وما قلتُ إلا ما قال اللّه ـ سبحانه ـ، وما نَسَبْتُ إلىٰ كتاب اللّه إلا ما نَسَبَهُ إليه وارتضاه له، وهو عند العرب الفصحاء كلامٌ جيدٌ صحيحٌ مُرْتَضَى، وأنت تَزْعُمُ أن كلام اللّه هو من ذاته مخلوق، وَتُشَبِّهُهُ بكلام المخلوقين مثل الشِّعر أو قول الزور وغيره، وَتُنْكِرُ عليَّ أن سميتُهُ بما سَمَّاهُ اللّه ـ سبحانه ـ به. قال بشر: وأين سَمَّاهُ موصلًا ومفصلًا؟ قلتُ: في كتابه مِنْ حَيْثُ لا تَعْلَمُهُ أنت ولا تَفْهَمُهُ. قال: فَاذْكُرْ ذلك.

قال عبدالعزيز: قلتُ: قال اللّه ـ سبحانه ـ: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥١﴾ [القصص: ٥١]؛ وهو تسمية اللّه لِقَوْلِهِ، وتسميتُهُ لكلامه بنصِّ التنزيل، لا بتأويلٍ ولا بتفسيرٍ، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١]؛ فَامْتَدَحَهُم بِصِلَةِ ما يوصل، وَأَثْنَىٰ عليهم في غير آية، وَوَعَدَهُم علىٰ ذلك أحسن عِدَة ـ وهي الجنة ـ؛ فقال: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الرعد: ٢٣] الآية. فهذه مِدْحَةُ اللّه، وهذا ثَنَاءُ اللّه، وهذا جزاء اللّه لمن وَصَلَ ما وَصَلَ اللّه، ولقد ذَمَّ اللّه ـ سبحانه ـ مَنْ قَطَعَ ما أَمَرَ اللّه به ـ سبحانه ـ أن يُوصَلَ، وَلَعَنَهُم، وجعلهم من الخاسرين؛ فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٢٥﴾ [الرعد: ٢٥]؛ يعني: النار. وقال في موضع آخر: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧]؛ وهذا ذَمٌّ مِنَ اللّه ـ سبحانه ـ لمن قَطَعَ ما أَمَرَ اللّه

بِصِلَتِهِ، وهذا وَعِيدُ اللّه، ولعنتُهُ لهم.

ثمّ ذكر المفصل في كتابه؛ فقال: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هُود: ١] ، وقال: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾، وقال: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨] فهذا قَوْلُ اللّه ﷻ، وهذا تسمية اللّه لكتابِهِ، وهذا نسبةُ اللّه ﷻ لقوله، واختياره لنفسه، وهو ما ارتضاه اللّه، وَرَضِيَهُ مِنْ قَائِلِيهِ.

ثمَّ أقبلتُ علىٰ المأمون، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، يَزْعُمُ بشرٌ أني سَمَّيْتُ كتابَ اللّه اسمًا ناقصًا حسيسًا، وأني أتيتُ في ذلك بهتانًا عظيمًا، وإثمًا كبيرًا، وَأَنَّ العربَ والعجم تُنْكِرُ ما قُلْتُ، وأمير المؤمنين ثَبْتُ اللُّغة وَأَعْلَمُ خَلْقِ اللّه بكلام العرب، وما قلتُ إلا ما قَالَ اللّه، واختاره، وارتضاه لكلامه، وما تختاره العربُ لِكَلَامِهَا وَتُسَمِّيهِ به، فتقول: مفصـلًا وموصـلًا.

فقال المأمون: ما قُلْتَ منذ اليوم إلا ما تَقُولُهُ العرب وَتَتَعَامَلُ به وَتَعْرِفُهُ، وما خَرَجْتَ عن مذهب العرب، ولو عدلتَ عن ذلك ما سوغتك الكذب عليها.

قال عبدالعزيز: اللّه أكبر، اللّه أكبر!! كَذَبَ بشرٌ وَرَبِّ الكعبة بشهادة أمير المؤمنين؛ أَفْلَحْتُ وَرَبِّ الكعبة، وَظَهَرَ أَمْرُ اللّه وَهُمْ كارهون.

فقال بشرٌ: أَوَعَلَىٰ الخلقِ أن يَتَعَلَّمُوا لغات العرب؟ ما تعبّد اللّه الخلقَ

بهذا، ولا أَمَرَنَا به، وكلُّ إنسانٍ يتكلَّم بما عَلَّمَهُ اللَّه، وما كَلَّفَ اللَّه الخلقَ فوق طَاقَتِهِم، ولا طَالَبَ أولادَ العجم بِلُغَةِ العرب.

قال عبدالعزيز: فقلتُ لبشرٍ: فَكَلَّفَ اللَّه الخلقَ بأن يَتَكَلَّمُوا بما لا يعلمون!! ادَّعَيْتَ العلم، وَتَكَلَّمْتَ في القرآن، وَتَأَوَّلْتَ كتابَ اللَّه علىٰ غير ما عَنَاهُ اللَّه ﷻ، وَدَعَوْتَ الخلقَ إلىٰ اتِّبَاعِكَ، وَكَفَّرْتَ أتباعك، وَكَفَّرْتَ مَنْ خالفك وَأَبَحْتَ دَمَهُ، واللَّه ﷻ قد نَهَىٰ الخلقَ جميعًا، فلم يَتَجَاسَرْ منهم أحدٌ أَنْ يقولوا مَا لَا يَعْلَمُونَ؛ فقال للنبيِّ ﷺ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] ، وقال لِنُوحٍ: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦] ، وقال نوحٌ معتذرًا إلىٰ رَبِّهِ، معترفًا بخطيئته: ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٧] ، وقال اللَّه - تعالىٰ -: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عِمران: ٧] الآية بأسرها. فَأَخْبَرَ اللَّه ﷻ أَنَّ مَنْ في قلبه زَيْغٌ، يتَّبع ما تَشَابَهَ مِنَ القرآن ابْتِغَاءَ الفتنة، وَابْتِغَاءَ تأويله؛ فَذَمَّهُم بهذا، وَأَخْبَرَ بِذَمِّ فِعْلِهِم وَطَرِيقِهِمُ الذي سلكوه.

فقال بشرٌ: اخْطُبْ حتىٰ تَشْبَعَ من الكلام، ثُمَّ أخاطبك. **قال عبدالعزيز:** فقلتُ: يا أمير المؤمنين، إنَّ بشرًا قد تَحَيَّرَ في ضَلَالَتِهِ، وَعَمِيَ عن رُشْدِهِ، وَبَانَتْ فَضِيحَتُهُ، وبطل قَوْلُهُ وَمَذْهَبُهُ.

فقال بشرٌ: أَخْبِرْنِي يا عبدالعزيز، تعبَّد اللَّه الخلقَ بأن يعرفوا الموصل والمفصل؟ وما يَضُرُّ الخلقَ أن لا يعلموا ذلك وَلَا يَعْرِفُوهُ!!.

فقال المأمون: رَجَعْنَا إلىٰ الكلام الأول، وقد مَضَىٰ هذا، وَانْقَطَعَ الكلامُ فيه؛ فَاخْرُجْ منه إلىٰ غَيْرِهِ. **فقال بشر**: قد شَغَلَني بِكَلَامِهِ وَخُطَبِهِ عن الكلام الأول، وأنساني ما أحتاجُ إليه.

فقلتُ: يا أمير المؤمنين، أرأيت أن تَأْذَنَ لي حَتَّىٰ أُجِيبَهُ عن قوله. **قال**: افْعَلْ. **فقلتُ**: يا بشرُ، نعم؛ قد تعبّد اللّه الخلقَ بأن يَعْرِفُوا ذا وَيَتَعَلَّمُوه؛ لِئَلَّا يَصِلُوا ما لم يُوصِلِ اللّه، ويقطعوا ما وَصَلَ اللّه ـ تعالىٰ ـ.

قال بشرٌ: ائْتِ بحجةٍ ودليلٍ لما قُلْتَ.

فقلتُ: أَمَا سَمِعْتَ ما قَرَأْتُ عليك مِن كتاب اللّه ـ جل وعلا ـ، وما تَلَوْتُ من الآيات المحكمات في وَصْلِ ما أَمَرَ اللّه أَنْ يُوصَلَ، وَقَطْعِ ما أَمَرَ اللّه أن يُقْطَعَ، وما وَعَدَ اللّه ـ تعالىٰ ـ هؤلاء من حسن الثواب وعقبىٰ الدار، وما وعد هؤلاء مِنَ اللَّعْنَةِ والعذاب وسوء الدار.

قال بشرٌ: دَعْ ذِكْرَ ما مَضَى؛ فما لك فيه حُجَّة، وَاحْتَجَّ الساعة بِشَيْءٍ أَفْهَمُهُ.

فقلتُ له: صَدَقْتَ؛ إنك ما فَهِمْتَ ما مَضَى، وكيف تَفْهَمُهُ وَقَدْ مُنِعْتَ مِنْ فَهْمِهِ؟

فقلتُ: يا أمير المؤمنين، إِنَّ في بعضِ ما مَضَىٰ لَكفايةً وبلاغًا، وبشرٌ يَزْعُمُ أنه لم يَفْهَمْ شيئًا مما مضى، وأنا أَتَكَلَّمُ في ذِكْرِ المفصل والموصل من القرآن، وأحتجُ للعرب في صِحَّةِ لغاتهم ومذاهبهم. **فقال المأمون**: إذا كان لا يَفْهَمُ ما مَضَى، فكذلك لا يَفْهَمُ ما يأتي بعد إعادة ما مَضَى؛ وَظَهَرَتْ

لك فيه الحجة، فإن هذا وقت الزوال. **فقلتُ**: يا أمير المؤمنين، إنْ تأذن لي حَتَّىٰ أَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ لم أَتَكَلَّمْ به في هذا المعنى؛ لِأُقِيمَ به الحجة علىٰ بشر، وَأَرْجُو أن يَسْتَحْسِنَهُ أمير المؤمنين من غير إطالة الكلام. **فقال**: تَكَلَّمْ وَأَوْجِز.

قال: فأقبلتُ علىٰ بِشرٍ، **فقلتُ**: زَعَمْتَ أن اللَّه ـ تعالىٰ ـ لم يَتَعَبَّدِ الخلقَ بمعرفة الموصل والمفصل؟ **فقال**: نعم؛ هذا شَيْءٌ لم يَتَعَبَّدِ اللَّه الخلقَ به . **فقلتُ**: أخبِرني عَمَّنْ قال: مَنْ قَالَ لم يَتَعَبَّدِ اللَّه الخلقَ بمعرفة شيءٍ من هذا أو غيره، أو زاد فيه أو نقص؛ كان كافرًا ـ يكون صادقًا أم كاذبًا؟ **فقال**: بل كاذبًا؛ وإنما أقول: إن كُلَّ شيءٍ إذا زِيدَ فيه أو نُقِصَ منه أو غُيِّرَ عَمَّا كان عليه، كان فَاعِلُ ذلك كافرًا؛ لأن اللَّه ﷻ قد تَعَبَّدَ الخلقَ بمعرفتِهِ وَعِلْمِهِ. قلتُ: فَأَفْتِنِي وَأَجِبْ نَفْسَكَ عَنِّي، وَأَقِرَّ بما أنكرتَ. **فقال بشر**: دَعِ التشبُّث عنك وَأَجِبْ، وَدَعِ الكلامَ، وَأَقِمِ الشاهدَ والدليلَ علىٰ ما تَقُولُ.

قال عبدالعزيز ـ رحمه اللَّه تعالىٰ ـ: فأقبلتُ علىٰ المأمون، **فقلتُ**: قال اللَّه ـ تعالىٰ ـ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عِمرَان: ١٨] ؛ فَإِنْ قال رَجُلٌ: شَهِدَ اللَّه أنه لا إله. وَقَطَعَ الكلام، والصِّلة عامدًا، كان كَافِرًا بإجماع الأُمَّة؛ لأنه يَزْعُمُ أنه شَهِدَ اللَّه أن لا إله، وَشَهِدَتِ الملائكة وَأُولُو العِلْم أن لا إله. فمن قال هذا عامدًا كان كافرًا حَلَالَ الدم؛ لأنه أَعْظَمَ الفِرْيَةَ علىٰ اللَّه ـ تعالىٰ ـ، وأبطلَ الربوبية، وَجَحَدَ أن يكون اللَّه إلهًا، وَأَشْهَدَ اللَّه والملائكة وأولي العلم علىٰ كَذِبِهِ، وإذا

وَصَلَ الكلمة كما وصلها اللَّه ـ تعالىٰ ـ، فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عِمرَان: ١٨] . كَانَ صادقًا، وكان قد قالها كما قال اللَّه ﷻ، وكما شَهِدَ به لِنَفْسِهِ، وَشَهِدَ به الملائكة، وأولو العِلْم.

وكذلك قوله: ﴿اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] . وَمِثْلُهُ في القرآن كثيرٌ، في أربعين موضعًا من التهليل علىٰ هذا المعنىٰ ـ مَنْ فَصَلَ شيئًا من ذلك عن صِلَتِهِ عامدًا كان كافرًا حتىٰ يَصِلَهُ كما وَصَلَهُ اللَّه ـ. وقال اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البَقَرَة: ٢٦] ؛ فلو قال رجل: إن اللَّه لا يَسْتَحْيي. وَقَطَعَ الصِّلَةَ عامدًا، كان كافرًا حَلَالَ الدم؛ حتىٰ يَصِلَ الأول بالثاني كما وَصَلَهُ اللَّه ـ سبحانه ـ. وقال اللَّه ﷻ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعَام: ٥٩] ؛ فلو قال قائلٌ: وعنده مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا. وَقَطَعَ الصِّلَةَ عامدًا، كان كافرًا؛ لأنه زَعَمَ أَنَّ اللَّه ـ تعالىٰ ـ لا يَعْلَمُ الغيب، وَمَنْ زَعَمَ هذا، فقد رَدَّ ما اختاره اللَّه، وقولَ اللَّه وشهادتَهُ لنفسه بِعِلْم الغيب؛ فهو كافرٌ بإجماع الأُمَّة، فَإِذَا وَصَلَ، فقال: ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعَام: ٥٩] . كَانَ صادقًا، وكان قد قال كما قال اللَّه، وَوَصَلَ ما أَمَرَ اللَّه به أَنْ يُوصَلَ.

فقال المأمون: أحسنتَ أحسنتَ يا عبدالعزيز. **فقلتُ:** وَمِثْلُ هذا في القرآن كثيرٌ. **فقال:** يجزيكَ من ذلك آيةٌ واحدةٌ.

فقلتُ لبشرٍ: اسْمَعْ باقي مسألتِكَ. قال: قُلْ.

قلتُ: وأما المفصل الذي لا تَجُوزُ صِلَتُهُ؛ فهو قول الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]؛ فمن قال: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ﴾ [النحل: ٦٠] . وَقَطَعَ الكلام عامدًا، فهو كافرٌ حلَالُ الدم؛ لأنه زَعَمَ أن لله مَثَلَ السَّوْءِ؛ شَبَّهَ الله ﷻ بالذين لا يؤمنون بالآخرة، فَأَدْخَلَهُ معهم في المثل السوء. فلو وَقَفَ علىٰ ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾، وَقَطَعَ الكلام، كان كما قال الله، وَفَصَلَ ما فَصَلَ الله، ولم يَصِلْ ما قَطَعَهُ الله منه. ثمّ قال الله: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾ [التوبة: ٤٠] ؛ وهنا الكلام تامٌّ عند القرّاء، ثمّ يبتدئُ ويقول: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠] ، فَلَوْ قَرَأَ قَارِئٌ: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٤٠] ، وأراد أن الله أخبر بذلك؛ فَمَنْ قال هذا فَقَدْ أَعْظَمَ الفِرْيَةَ علىٰ الله ـ تعالى ـ، وَادَّعَى علىٰ الله الكذب، وَوَصَلَ ما فَصَلَهُ الله. وإذا قرأ رجلٌ: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾ [التوبة: ٤٠] ، وَقَطَعَ ثمّ ابتدأ، فقال: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠] كَانَ قد قرأ كما قَالَ الله، وَفَصَلَ ما فَصَلَ الله.

فأقبل عليَّ المأمون، وقال: أحسنتَ يا عبدالعزيز وبلغتَ، فلا يحتاج إلىٰ زيادة. فقلتُ: يا أمير المؤمنين، مِثْلُ هذا في القرآن كثيرٌ. فقال: يجزيك من ذلك آيةٌ واحدةٌ.

ثم أقبلَ المأمون علىٰ بشرٍ، فقال: يا بشرُ، هل عندك شيء؟ فتَسْأَلَ عبدالعزيز عنه، أو تحتجَّ به عليه؛ فقد ظَهَرَتْ حُجَّتُهُ عليك بالمسألتَيْنِ جميعًا، وَصَحَّ قولُهُ، وَصَحَّ ما ادَّعَاهُ. فقال بشر: يا أمير المؤمنين، هذا يُرِيدُ نصَّ القرآن لِكلِّ شَيْءٍ يتكلَّم به، وهذا مما لا يقدرُ عليه؛ لأنه ليس كُلُّ ما يتكلَّم به الناس ـ مما يحتاجون إليه من عِلْمِ أديانهم ـ يُوجَدُ في كتاب الله بنصِّ التنزيل؛ وإنما يوجد فيه بالتأويل.

فقال عبدالعزيز: فقلتُ: يا أمير المؤمنين، كُلُّ ما يتكلَّم به الناس، مما يحتاجون إليه من عِلْمِ أديانهم، ويتنازعون فيه منها ـ فهو موجودٌ في القرآن؛ لقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] ؛ فَأَخْبَرَ اللَّه ـ تعالىٰ ـ أنه ما فَرَّطَ في الكتاب من شيء، فَعَقَلَ ذلك مَنْ عَقَلَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ.

قال: فَجَثَا محمد بن الجهم علىٰ ركبتَيْهِ، وقال: يا عبدالعزيز، تَزْعُمُ أَنَّ ما من شَيْءٍ يتكلَّم به الناسُ، ويتنازعون فيه، ويحتاجون إلىٰ معرفته ـ إِلَّا وَعِلْمُهُ موجودٌ بنصِّ التنزيل، لا بتأويلٍ ولا بتفسيرٍ؟ قلتُ: نَعَمْ؛ قلتُ، وهكذا أَقُولُ، فَسَلْ عَمَّا شِئْتَ؛ حتىٰ أُجِيبَك عليه من القرآن بنصِّ التنزيل. فَوَضَعَ محمدٌ يَدَهُ علىٰ حصير مُدٍّ، يَبْقَىٰ مبسوطًا في الإيوان، فقال: أَوْجِدْني أَنَّ هذا الحصير مخلوقٌ بنصِّ القرآن؟ فقلتُ: عليَّ أن أُوجِدَ ذلك بنصِّ التنزيل.

ثمَّ أقبلتُ عليه، فقلتُ: أَخْبِرْني عن هذا؛ أليس هو من سَعَفِ النخل،

وجلودِ الأنعام؟ قال: نعم. فقلتُ: وهل فيه شَيْءٌ غير هذا؟ قال: لا؛ بَلْ فيه صناعة الإنسان الذي يَعْمَلُهُ حَتَّىٰ صَارَ حصيرًا. فقلتُ: قال اللَّه - تعالىٰ - في النخل: ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الواقِعَة: ٧٢]؛ فهو نصٌّ بخلق النَّخْلِ والسَّعَفِ. وأما الجلود؛ فقال اللَّه - تعالىٰ -: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ﴾ [النحل: ٥] وهذا خَلْقُ الجلود. وأما الصانع؛ فقال اللَّه ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الحِجر: ٢٦] فهذا خلق الصانع. فَصَارَ الحصيرُ مخلوقًا بنصِّ التنزيل، لا بتأويلٍ ولا بتفسيرٍ؛ فهل عندك مِثْلُ هذا لِخَلْقِ القرآن ما تَذْكُرُهُ أو تحتجُّ به، وَإِلَّا فَقَدْ بَطَلَ ما تدَّعونه من خلقه، وَصَحَّ - ولم يَزَلْ صحيحًا - أن القرآن كلامُ اللَّه، غير مخلوقٍ من كُلِّ جهة، وعليٰ أيِّ جهةٍ تصرفت.

فَصَاحَ المأمون: يا محمد بن الجهم، خَلِّ بين الرجل وبين صاحبه، وَإِيَّاكَ والمعارضةَ، ثُمَّ أقبلَ المأمون علىٰ بشر، فقال: هل عندكَ شَيْءٌ تُنَاظِرُهُ قبلَ أن نَصْرِفَهُ وَنَقُوم؛ فقد طَالَ المجلسُ وَصُلِّيَتِ الظهر؟ فقال بشرٌ: يا أمير المؤمنين، عندي أشياء كثيرة إِلَّا أنه يقولُ بنصِّ التنزيل، وأنا أَقُولُ بالنَّظَرِ والقياس، فَلْيَدَعْ مناظرتي بنصِّ التنزيل، وَلْيُنَاظِرْني بغيره؛ فإن لم يَدَعْ قولَهُ وَيَرْجِعْ عنه، ويقولُ بقولي، ويقولُ بِخَلْقِ القرآن الساعة؛ فدمي لَكَ حلالٌ.

فقال المأمون: نقولُ لرجلٍ يُنَاظِرُ بالكتاب والسُّنة دَعْهُمَا وَاخْرُجْ إلىٰ النظر والقياس؟! هذا مَا لَا يجوز.

قال عبدالعزيز: فقلتُ: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تَأْذَنَ لي أَنْ أُنَاظِرَهُ كما سأل، ولا أَحْتَجُّ عليه بآيةٍ من كتاب الله، ولا سُنَّة رسوله؛ ولكن علىٰ جهة النظر والقياس، ويكون أميرُ المؤمنين الشاهدَ علينا، والمتحفِّظ لألفاظنا، فإن أقام بشرٌ عليَّ الحجةَ ـ كما زَعَمَ ـ وأقررتُ بشيءٍ مما قال، ورجعتُ عن قولي ـ فدمي حلالٌ كما قال بشرٌ، وَإِنْ أَثْبَتُّ الحُجَّةَ علىٰ بشرٍ من جهة النظر والقياس، كما أَثْبَتُّهَا عليه مِنَ الكتاب والسُّنة، وَشَهِدَ عليه أمير المؤمنين بذلك ـ فقد حُلَّ دَمُهُ كما شَرَطَ علىٰ نفسه.

قال المأمون: وَتَفْعَلُ ذلك؟ **قلتُ**: نَعَمْ يا أمير المؤمنين، عَلَىٰ أَنَّ بشرًا يُجِيبُنِي عن كُلِّ ما سألتُهُ عنه، ولا يَحِيدُ عن جوابي كما فَعَلَ في الأول. **فقال بشر**: نعم؛ عَلَيَّ أَنْ أُجِيبَكَ عن كُلِّ شيءٍ سَأَلْتَنِي عنه، ولا أَحِيدُ عنه.

قال عبدالعزيز: تَسْأَلُنِي أم أَسْأَلُكَ؟ **قال**: اسْأَلْ أنت.وَطَمِعَ فِيَّ هو وأصحابُهُ، وَظَنُّوا أَنِّي إن خرجتُ عن الكتاب والسُّنة لم أُحْسِنْ أن أتَكَلَّمَ بغيرهما؛ **فقلتُ**: يا بشرُ،تقولُ: إِنَّ كلامَ الله مخلوقٌ[1]؟ قال:أنا أَقُولُ:إِنَّ اللَّه خَلَقَ القرآن.

قلتُ له: يلزمُكَ في قولك هذا واحدة من ثلاث: أن تَقُولَ: إِنَّ اللَّه خَلَقَ كلامَهُ في نفسه، أو خَلَقَهُ في غيره، أو خَلَقَهُ قائمًا بنفسه وذاته؛ فَقُلْ ما عِنْدَكَ.

---

(١) عبارة «تقول: إن كلامَ اللَّه مخلوقٌ» مما في درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية من هذه الرسالة؛ وهي الصواب.

فقال بشر: أنا أقول: إنه مخلوقٌ، وإنه خَلَقَهُ كما خَلَقَ الأشياء كُلَّهَا.

قال عبدالعزيز: تَرَكْنَا الكتابَ والسُّنةَ عند هَرَبِ بِشْرٍ عنهما، وناظرتُهُ بالقياس والنظر؛ لما ادَّعَاهُ وَذَكَرَ أنه يُحْسِنُهُ، ويُقيم عليَّ الحجة به؛ حتىٰ أَرْجِعَ عن قولي، وَأُقِرَّ معه بِخَلْقِ القرآن، وَشَرَطَ علىٰ نَفْسِهِ إجابتي عَمَّا أَسْأَلُهُ عنه، ولا يَحِيدُ عن الجواب؛ وقد مَالَ بشرٌ إلىٰ الحَيْدَةِ، وَنَقَضَ ما شَرَطَ علىٰ نفسه، وأميرُ المؤمنين الشاهدُ عليه، وهو أَعْلَىٰ عَيْنًا فيما يَرَاهُ مِنْ قَطْعِ المجلسِ وصرفي؛ فإن بشرًا إنما يُحْسِنُ أن يُنَاظِرَ مَنْ لا يَفْهَمُ ولا يَدْرِي ما يقول، فَأَمَّا مَنْ لا يَدَعُهُ يخلص كلمة واحدة؛ فلا يَقْدِرُ علىٰ مُنَاظَرَتِهِ.

فقال له المأمون: أَجِبْ عبدالعزيز عَمَّا سَأَلَكَ عنه، فقد تَرَكَ قَوْلَهُ وَمَذْهَبَهُ، وَخَرَجَ عنه إلىٰ ما ادَّعَيْتَ فَهْمَهُ ومعرفتَهُ؛ فلا تَحِدْ عن جَوَابِهِ.

فقال بشرٌ: قد أَجَبْتُهُ؛ ولكنه يَتَعَنَّتُ.

فقال المأمون: يَأْبَىٰ عليك عبدالعزيز إِلَّا أن تُجِيبَهُ عَمَّا سَأَلَكَ عنه. **فقال بشرٌ:** ما عندي جوابٌ غير ما أَجَبْتُهُ به.

فأقبلَ عليَّ المأمون، **فقال:** قد حاد بشرٌ عن جَوَابِكَ، فَتَكَلَّمْ أنت يا عبدالعزيز في شَرْحِ هذه المسألة وَبَيَانِهَا، وما علىٰ بشرٍ فيها لو أَجَابَكَ عنها؛ لِيَقِفَ مَنْ يَحْضُرُنَا علىٰ ذلك.

قلتُ: نَعَمْ يا أمير المؤمنين، سألتُ بِشْرًا عن كلام اللَّه: مخلوقٌ هو؟ **فقال:** نعم. **قلتُ له:** يلزمُكَ واحدة من ثلاثٍ لا بُدَّ منها: أن تَقُول: اللَّه ﷻ خَلَقَ كلامَهُ في نفسه، أو خَلَقَهُ في غيره، أو خَلَقَهُ قائمًا بنفسه وذاته.

فإن قال: إنَّ اللَّه خَلَقَ كَلَامَهُ في نفسه. فهذا محالٌ باطلٌ؛ لا يَجِدُ السبيلَ إلىٰ القول به من قياسٍ، ولا نظرٍ، ولا معقول؛ لأَنَّ اللَّه لا يَكُونُ مكانًا للحوادث، ولا يكون فيه شَيْءٌ مخلوقٌ، ولا يَكُونُ ناقصًا فيزيد بِشَيْءٍ إِذَا خَلَقَهُ؛ ومن قال هذا فَقَدْ كَفَرَ باللَّه العظيم، وَحَلَّ دَمُهُ؛ وإن قال: خَلَقَ كَلَامَهُ في غيره. فهذا ـ أيضًا ـ محالٌ باطلٌ؛ لا يَجِدُ السبيلَ إلىٰ القول به من قياسٍ، ولا نظر، ولا معقولٍ؛ لظهور الشناعة والكفر من قيله؛ لأنه يَلْزَمُ قَائِلَ هذه المقالة ـ في القياس والنظر المعقول ـ أن يَجْعَلَ كُلَّ كلامه خَلَقَهُ اللَّه في غَيْرِهِ؛ هو كلامُ اللَّه، فيجعل الشِّعر، وقول الزور، والفُحْش، والخَنَا، وكُلَّ كلامٍ ذَمَّهُ اللَّه وَذَمَّ قائليه؛ من كَلَامِ الكُفْرِ والسِّحْرِ وغيره ـ لله. تَعَالَىٰ اللَّه عن ذلك.

وَإِنْ قال: خَلَقَ كَلَامَهُ قائمًا بنفسه وذاته. فهذا هو المحالُ الباطلُ الذي لا يَجِدُ السبيلَ إلىٰ القَوْلِ به من قياسٍ، ولا نظرٍ، ولا معقول؛ لأنه لا يَكُونُ الكلام إِلَّا من مُتَكَلِّم، كما لا تكون الإِرادة إلا من مُرِيدٍ، ولا العلم إلا من عالمٍ، ولا القدرة إِلَّا من قَدِيرٍ.

ولا رُئِيَ، ولا يُرَىٰ أبدًا كلامٌ قائمٌ بنفسه، متكلمٌ بذاته، وهذا مَا لَا يُعْقَلُ، ولا يُعرف، ولا يثبتُ من قياسٍ ولا نظرٍ ولا غيره، فَلَمَّا استحالَ من هذه الجهات أن يكون[1] القرآن مخلوقًا، ثَبَتَ أنه صفةٌ لله ـ جل وعلا ـ،

(١) عُبارة «من هذه الجهات أن يكون» من درء تعارض العقل والنقل؛ نقلًا عن هذه الرسالة.

وصفاتُ اللَّه ـ تعالىٰ ـ غَيْرُ مخلوقةٍ، فَيَبْطَلُ قَوْلُ بشرٍ من جِهَةِ النظر والقياس، كما بَطَلَ من الكتاب والسُّنة.

قال المأمون: أَحْسَنْتَ يا عبدالعزيز.

فقال بشرٌ: دَعْ هذه المسألة، وَاسْأَلْ عن غيرها؛ حتىٰ يخرجَ بيننا شيءٌ يسمع.

قال عبدالعزيز: فقلتُ: يا بشر، تَقُولُ: إن اللَّه كان ولا شيء، وكان ولم يَفْعَلْ شيئًا، وكان ولم يَخْلُقْ شيئًا؟ **قال:** نعم؛ هكذا أَقُولُ. **فقلتُ:** بِأَيِّ شيءٍ حَدَثَتِ الأشياء بعد أن لم تكن شيئًا؛ هي حَدَثَتْ بنفسها أَمِ اللَّه أَحْدَثَهَا؟ **قال بشر:** بَلِ اللَّه أَحْدَثَهَا. **فقلتُ له:** بِأَيِّ شَيْءٍ أحدثها؟ **قال بشرٌ:** بِقُدْرَتِهِ. **قلتُ:** فلستَ تقول: إنه لم يَزَلْ قادرًا؟ **قال:** كَذَلِكَ أَقُولُ. **قلتُ:** تقولُ: إنه لم يَزَلْ يفعل؟ **قال:** لا أَقُولُ هذا. **قلتُ:** فلا بُدَّ أن تقول: إنه خَلَقَ بالفعل الذي كان عن القدرة، وليس الفِعْلُ هو القدرة؛ لأن القدرة صِفَةٌ من صفاتِ اللَّه، ولا يُقَالُ لصفات اللَّه: هِيَ اللَّه، ولا هِيَ غَيْرُ اللَّه. وهذا يلزمك القول به.

قال بشرٌ: ويلزمُكَ ـ أيضًا ـ أن تقول: إنه لم يَزَلْ يفعل ويخلق، وإذا قُلْت ذلك؛ تَبَيَّنَّا أَنَّ المخلوق لم يَزَلْ مع الخالق. **قال: فقلتُ لبشرٍ:** إِنِّي لم أَقُلْ: هذا، وليس لك أن تَحْكُمَ عَلَيَّ، وَتَحْكِيَ عَنِّي ما لم أَقُلْ، وَتُلْزِمَنِي ما لم يلزمني؛ إني لم أَقُلْ: إنه لم يَزَلِ الخالق يخلق، ولم يَزَلِ الفاعل يفعل. فيلزمني ما قُلْتُ؛ وإنما **قلتُ:** لم يَزَلِ الفاعل سيفعل، ولم يَزَلِ الخالق

سيخلق[١]؛ لأن الفِعْلَ صفةٌ لله يَقْدِرُ عليها، ولا يَمْنَعُهُ منها مانعٌ.

قال بشرٌ: أنا أقول[٢]: إنه أَحْدَثَ الأشياء بِقُدْرَتِهِ، فَقُلْ أنتَ ما شِئْتَ.

قال عبدالعزيز: قلت: يا أمير المؤمنين، قَدْ قال بشرٌ: إن اللَّه كان ولا شيء، وإنه أحدثَ الأشياء بَعْدَ أن لم تَكُنْ شيئًا، بقدرته. فقلتُ أنا: أحدثها بِأَمْرِهِ وَقَوْلِهِ عن قُدْرَتِهِ.

فقال المأمون: قد حَفِظْتُ عليكما قَوْلَكُمَا. فقلتُ: يا أمير المؤمنين، لن يَخْلُوَ أن يَكُونَ أَوَّلُ خَلْقٍ خَلَقَهُ اللَّه، خُلِقَ[٣] بقولٍ قاله، أو بإرادةٍ أرادها، أو بقدرةٍ قدَّرها.

قال المأمون: هكذا هو، قد وَافَقَكَ بشرٌ في القدرة والإرادة، وَخَالَفَكَ في القول. قلت: يا أمير المؤمنين، أَيُّ ذلك كان؛ فقد تَبَيَّن أن هَاهُنَا إرادة وَمُرِيدًا وَمُرَادًا[٤]، وَقَوْلًا وَقَائِلًا وَمَقُولًا له، وَقُدْرَةً وَقَدِيرًا وَمَقْدُورًا عليه، وذلك كُلُّه متقدمٌ قَبْلَ الخلقِ، وما كان مُتَقَدِّمًا قبل الخلق، فليس هو مِنَ الخَلْقِ في شَيْءٍ؛ وقد كَسَرْتُ - واللَّه - قَوْلَ بشرٍ، وَدَحَضْتُ حُجَّتَهُ؛ بإقرارِهِ

---

(١) علَّق شيخ الإسلام - في درء تعارض العقل والنقل (ج٢ ص١٤٠) بهامش منهاج السُّنة - على قول عبدالعزيز: «إنما قلتُ: أنه لم يَزَلِ الفاعل سيفعل، ولم يَزَلِ الخالق سيخلق؛ لأن الفعل صفة لله». عَلَّق عليه بقوله: «لا شبهة أن هذه الزيادة - أي: في بعض نسخ «الحيدة» - ليست من كلام عبدالعزيز؛ فإنها لا تُنَاسِبُ ما ذكره في مناظرته المستقيمة، ولم يتقدم من عبدالعزيز ذِكْرَ هذا الكلام، ولا ما يَدُلُّ عليه».

(٢) لفظ «أنا أقول» من درء تعارض العقل والنقل.

(٣) لفظ «خلق» من درء تعارض العقل والنقل.

(٤) لفظ «ومرادًا» من درء تعارض العقل والنقل.

بلسانِهِ بالنظر والمعقول، ولم يَبْقَ إلا القياس[١]، وَأَنَا أَكْسِرُهُ بالقياس - إن شاء اللّٰه تعالىٰ -.

فقال المأمون: هَاتِ، وَأَوْجِزْ قَبْلَ خُرُوجِ وَقْتِ الصَّلَاةِ.

فقلتُ: يا أمير المؤمنين، لو كان لبشرٍ غلامان، وَأَنَا لا أَجِدُ لهما خبرًا من أَحَدٍ من الناس إِلَّا مِنْ بشر، ويقال لأحدهما: خالد، وللآخر: يزيد. وكان بشرٌ غائبًا عَنِّي بِحَيْثُ لا أراه، فَكَتَبَ إِلَيَّ بشرٌ ثمانية عشر كتابًا، يَقُولُ في كُلِّ كتابٍ منها: ادْفَعْ إلىٰ خالد غلامي هذا الكتاب. وَكَتَبَ إِلَيَّ أربعة وخمسين كتابًا، يقول: ادْفَعْ إلىٰ يزيد هذا الكتاب. ولم يقل: (غلامي)، ثُمَّ قَدِمَ بشرٌ من سَفَرِهِ، فقال لي: ألستَ تَعْلَمُ أن يزيدَ غلامي؟ فقلت: قد كَتَبْتَ إِلَيَّ أربعة وخمسين كتابًا، وَقُلْتَ: ادْفَعْ هذا الكتاب إلىٰ يزيد. ولم تَقُلْ: (غلامي)، وكتبتَ ولم أَسْمَعْكَ تقول: (غلامي)، وَأَنَا لا أَجِدُ ذلك إلا مِنْكَ، ولا أَعْرِفُ خَبَرَهُ من أحدٍ غيرك، وكتبتَ إِلَيَّ ثمانية عَشَرَ كتابًا: ادْفَعْ إلىٰ خالد غلامي هذا الكتاب. فَعَلِمْتُ بكتابك أنه غُلَامُكَ، ثمّ كتبتَ إِلَيَّ كتابًا، جَمَعْتَهُمَا فيه، فَقُلْتَ: ادْفَعْ هذا الكتاب إلىٰ خالد غلامي، وإلىٰ يزيد. ولم تقل: (غلامي)، فَمِنْ أَيْنَ أَعْلَمُ أن يزيدَ غلامُكَ، ولستُ أَعْلَمُ خَبَرَهُمَا من أحدٍ غيرك.

فقال لي بشرٌ: فَرَّطْتَ. فقلتُ: بشر فَرَّطَ. فَحَلَفْتُ أَنَّ بشرًا فَرَّطَ،

---

(١) عبارة درء تعارض العقل والنقل المنقولة عن هذه الرسالة «فقد كسرتُ قَوْلَ بشرٍ بالكتاب، والسُّنة، واللُّغة العربية، والنظر، والمعقول».

وَحَلَفَ بشرٌ أَنِّي فَرَّطْتُ؛ حَيْثُ لم أَعْلَمْ أن يزيدَ غلامُهُ من كُتُبِهِ؛ فَأَيُّنا المفرِّط يا أمير المؤمنين؟

فقال المأمون: بِشْرٌ المفرِّط.

فقال بشر: وإيش هذا مما نَحْنُ فيه!! تُرِيدُ أن تُثْبِتَ بهذا السؤال على ما لم يَكُنْ، متى كانت هذه المكاتبة وهذا الكلام؟ فقلتُ: اسْمَعْ حَتَّى تَقِفَ عَلَى ما أَرَدْتُ.

وقلتُ: يا أمير المؤمنين، إِنَّ اللَّه ﷻ أَخبرَنَا في كِتابِهِ بِخَلْقِ الإنسان في ثمانية عَشَرَ موضعًا، ما ذَكَرَهُ في موضعٍ منها إلا أَخْبَرَ عن خَلْقِهِ، وَذَكَرَ القرآن في أربعة وخمسين موضعًا، فلم يُخْبِرْ عن خَلْقِهِ في موضعٍ منها، ولا أَشَارَ إليه بِشَيْءٍ من صفات الخلق، ثُمَّ جَمَعَ بين القرآن والإنسان في آيةٍ من كِتَابِهِ، فأخبر عن الخلق للإنسان، وَنَفَى الخَلْقَ عن القرآن، فقال اللَّه ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: ١: ٤]؛ فَفَرَّقَ بين القرآن والإنسان، فَزَعَمَ بشرٌ يا أمير المؤمنين أَنَّ اللَّه فَرَّطَ في الكتاب من شَيْءٍ، فهذا كَسْرُ قَوْلِ بِشْرٍ بالقياس.

فقال المأمون: أَحْسَنْتَ يا عبدالعزيز، ثُمَّ أَمَرَ لي بِعَشَرَةِ آلاف دِرْهَمٍ، فحملتُ بين يدي، وَانْصَرَفْتُ من مَجْلِسِهِ على أَحْسَنِ حالٍ وأجملها. قد أَعَزَّ اللَّه ﷻ دِينَهُ وَأَعَزَّ أَهْلَهُ، وَأَذَلَّ أَهْلَ الكُفْرِ والضَّلال، فلله الحمدُ على تَشْدِيدِهِ وَتَوْفِيقِهِ؛ كما هو أهله ومستحقه.

قال عبدالعزيز: فَسُرَّ المسلمون جميعًا بما وَهَبَهُ اللَّه لهم مِنْ إظهار الحقِّ وَقَمْعِ الباطل، وَانْكَشَفَ عن قلوبهم ما كان اكْتَنَفَهَا مِنَ الغَمِّ والحزن، وَجَعَلَ الناسُ يجيئون إليَّ أفواجًا حَتَّىٰ أغلقتُ بابي، وَاحْتَجَبْتُ عنهم؛ خوفًا علىٰ نفسي وعليهم مِنْ مَكْرُوهٍ يلحقنا، فقالوا: لَا بُدَّ أن تُمْلِيَ علينا ما جَرَىٰ لِنَعْرِفَهُ وَنَتَعَلَّمَهُ. فَهِبْتُ ذلك، وَتَخَوَّفْتُ سُوءَ عاقبتِهِ، فلما أَلَحُّوا عليَّ، قلتُ: أَنَا أَذْكُرُ لكم بَعْضَ ما جَرَىٰ مما لا يجوز عليَّ فيه شَيْءٌ، ولا حَجَرَ في ذِكْرِهِ. فَرَضُوا بذلك مِنِّي، فأمليتُ عليهم أوراقًا مِقْدَار عشر أوراق ونحوها مختصرة؛ لِأَقْطَعَهُم بها عن نفسي وعن مُلَازَمَةِ بابي، ولم يَتَهَيَّأْ لي أَنْ أَشْرَحَ هذا كُلَّه؛ مما تَخَوَّفْتُ علىٰ نفسي مما قد يلحقني بَعْدَ هذا المجلس، وما جَرَىٰ بسبب الأوراق علىٰ الناس؛ وَكَتَبُوهَا عَنِّي في كتابٍ غير هذا. وَصَلَّىٰ اللَّه علىٰ سيدنا محمدٍ النبيِّ الأميِّ، وعلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وسلم.

(تَمَّ والحمد للَّه)

«وقد قُوبِلَتْ هذه النسخة علىٰ الطبعة المصرية الحسينية للحيدة، وعلىٰ ما وَرَدَ في دَرْءِ تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية من نصوص كتاب الحيدة». قام بِمُقَابَلَتِهِ علىٰ ذلك كُلِّهِ فَضِيلَةُ الشيخ إسماعيل الأنصاري.

❀ ❀ ❀

شُبُهَاتٌ وَالْجَوَابُ عَنْهَا

بقلم الأستاذ
عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل الشيخ



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَكَ حَمْدِي وتمجيدي، وَذُلّي وخضوعي؛ يا مَنْ خلقتني مِنَ العَدَمِ وأنعمتَ عليَّ بما لا أَسْتَطِيعُ أداء الشُّكر لك عليه.

فَلَكَ الحمدُ والثناء الذي أَنْتَ أَهْلُه، وصلاتي وتسليمي علىٰ صَفْوَةِ الرُسُلِ، وَأَكْرَمِ الخَلْقِ محمد بن عبدالله، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّم عليه، وعلىٰ آلِهِ وأَصحابِهِ وأزواجِهِ وذرياتِهِ الطاهرين المطهرين؛ وبعد..

فَلَعَلَّ من المناسب تسجيلَ بَعْضِ شبهاتٍ وُجِّهَتْ إليَّ بصيغة السؤال، وأن الموضوع الذي تَتَضَمَّنُهُ هذه الشبهات لا يَخْرُجُ عن صفات الباري وَعُلُوِّهِ ـ تبارك وتعالىٰ ـ، وهو ما دَارَتِ المناظرة بين الإمام الكناني، والمريسي حَوْلَهُ، ولذا فقد رأيتُ تسجيلها، مَعَ الفارق بين مكانة الإمام الكناني، وَعُلُوِّ قَدْرِهِ، وبين كاتب هذه السطور؛ إِلَّا أني أرجو أن يكون من وَرَاءِ تدوينها عَقِب كتابِ الحيدة فائدةٌ، وخصوصًا في المحيط العلمي الذي يجمعني بزملاء، بَاعَدَ بيني وَبَيْنَهُمُ التخطيط الجغرافي، وَجَمَعَتْنَا بهم وحدة الإسلام، ووحدة اللغة العربية، ووحدة الهدف، وقد كان لهذه الأسئلة مقدمةٌ لا مَانِعَ من ذِكْرِهَا.

لقد جمعتني الدراسة بزملاء مِصْرِيين، وسوريين، وعراقيين، وهنديين، وسودانيين؛ اجتمعتُ بهم في أرض الكنانة، وفي ربوع كلية الشريعة الإسلامية.

وبحثي الذي أَكْتُبُ عنه كان ـ بَادِئَ ذِي بَدْء ـ بيني وبين بعض

الأساتذة الأجلاء، وبيني وبين بعض الزملاء؛ ولكنه لا يَلْبَثُ أن يُنْسَىٰ مع انتهاء المجلس، إلا هذه المناقشة التي تَزَعَّمَهَا زميلٌ لي من أبناء السودان العزيز، وَلْيَسْمَحْ لي إِذْ قُلْتُ: إنه من المتحمسين للأشعرية، والمهاجمين لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

ويبدو أن هذا الزميل لم يَقْنَعْ بما دار في المناقشة، فَنَاوَلَنِي ورقةً مكتوبةً تتضمن سبعة أسئلة، طَلَبَ مني الجواب عليها، وكانت مُنَاوَلَتُهُ إِيَّاي لهذه الأسئلة أَوَّلَ الدرس، فَأَخَذْتُهَا وَكَانَتْ شُغْلِي الشاغل عن الدَّرْسِ، وقبلَ انتهاء الحصة؛ استأذنتُ من مدرس التفسير أَنْ يَسْمَحَ لي بتلاوةِ الجواب علىٰ هذه الأسئلة، وكان قد سَبَقَ له عِلْمٌ ببعض ما دار، فَوَافَقَ علىٰ أن يكون باختصار.

وهاهو الجوابُ عن كُلِّ سؤالٍ، وإنه لجوابٌ يَعْلَمُ اللَّه أنه غَيْرُ وَافٍ بالمقصود تمامًا، ولم يُعْطِ الموضوع حَقَّهُ كما ينبغي؛ إذ إن الوقت الذي حَرَّرْتُ فيه الجوابَ لا يَبْلُغُ ساعة زمنية، وَكَفَاكَ أنه حُرِّرَ أثناء الدرس. ومع اختصاره كما قلتُ، فقد قرأتُهُ علىٰ مَسْمَعٍ من الجميع، فَجَاءَ موافقًا، حائزًا إعجاب الأستاذ والزملاء، والحمدُ لله.

أَمَّا زميلي صاحب الأسئلة؛ فقد طَلَبَ مني الجواب، وَأَظُنُّهُ للردِّ عليه؛ إلا أنه كمسودةٍ، لم أَتَمَكَّنْ من تسليمِهِ له آنذاك؛ ولكنني علىٰ يقينٍ من أَنَّ الزميل قد خَفَّ تحامُلُهُ، وَهَبَطَ غليانُهُ عن ذِي قَبْل، وأرجو اللَّه أن يكون قد وُفِّقَ إلىٰ قراءة شَيْءٍ من كُتُبِ السلف الصالح؛ كتفسير ابن جرير الطبري عندما يَنْقُلُ أقوال أئمة التفسير من السلف، ومثل: صحيح

البخاري، ومسلم، وابن خزيمة، ومؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وغيرهم من أعلام الدِّين.

فبقراءة هذه الكتب بإنصافٍ، ولطلب الحقِّ، والأخذ به، تَسْتَنِيرُ البصيرة، وَيَظْهَرُ الحقُّ، وَتَزُولُ الغِشَاوَةُ التي علقت بالأفكار؛ مِنْ سَمَاعِ أقوال المتكلمين، والمؤوِّلين، والذين أَدْخَلُوا علينا السموم الفتاكة في الدين والمعتقد، وراء ستارٍ مزيفٍ من العلم أو باسم العقيدة الأشعرية، وإنَّ الإمام الأشعري لَبَرِيءٌ مما يُنْسَبُ إليه؛ فقد رَجَعَ عن ذلك في أواخر حياتِهِ؛ كما هو ثابتٌ في كتابه «الإبانة عن أصول الديانة»، ذلك الكتاب الذي يَرُدُّ بصراحةٍ كُلَّ قَوْلٍ مما يُنْسَبُ إليه.

والحقيقة التي لا يمكن تجاهلها: أن البحثَ في ذات الله أو صفاته ﷻ إذا خَرَجَ عن ظاهر النصوص، لا شَكَّ أنه مَزَلَّةُ أقدامٍ، وطريقٌ وَعْرٌ، لا سبيلَ للنجاة منه إلا بالتمسُّك بالنصِّ من كتاب الله، وسُنَّة رسولِهِ ﷺ، والأخذ بما كان عليه السَّلَفُ الصالح، الذين قال عَنْهُمُ المعصومُ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» الحديث.

ولا نَنْسَىٰ ـ علىٰ ذكر التمسُّك بنصوص الكتاب والسُّنة ـ هذه الغلطة التي وَقَعَ فيها عالمٌ جليلٌ من علماء الإسلام؛ وهو «ابن حزم» فقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام أَهْلِ الظاهر، وكان من رَأْيِهِ التمسُّك بظاهر النصوص من الكتاب والسُّنة في الأحكام والفروع، وما كان أجدره أن يَأْخُذَ به في صفات الله ﷻ، وَلَكِنْ وَا أَسَفَاهُ!! تَمَسَّكَ بالظاهر حَيْثُ لا يجب،

وَتَخَلِّىٰ عنه في الصفات حَيْثُ هو واجبٌ.

فَمِنْ غَلَطِهِ: ما ذَكَرَهُ في كتابه في الملل والنحل (ص٩٨ ج٢ طبعة عبدالرحمن خليفة)، فقد ذَكَرَ أقوال الخلق في الاستواء، ثم قال:

والقول الرابع في معنىٰ الاستواء: هو أن معنىٰ قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] : أنه فِعْلٌ فَعَلَهُ في العرش؛ وهو انتهاء خَلْقِهِ إليه، فليس بعد العرش شَيْءٌ. وَيُبَيِّن ذلك: أَنَّ رسولَ الله ﷺ ذَكَرَ الجنات، وقال: «فاسأَلُوا اللَّهَ الْفِرْدَوْسَ الأَعْلَى؛ فَإِنَّهُ وَسَطُ الجنَّةِ وَأَعْلَىٰ الجنَّةِ، وَفَوْقَ ذَلِكَ عَرْشُ الرَّحْمَنِ». فَصَحَّ أنه ليس وراء العَرْشِ خَلْقٌ، وأنه نهاية جرم المخلوقات الذي ليس خَلْفَهُ خلاءٌ ولا ملاء، وَمَنْ أَنْكَرَ أن يكون للعالم نهايةٌ من المساحة والزمان والمكان؛ فقد لحق بِقَوْلِ الدهرية، وَفَارَقَ الإسلام، والاستواء في اللُّغة يَقَعُ علىٰ الانتهاء؛ قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص: ١٤] ؛ أي: فلما انتهىٰ إلىٰ القوة والخير. وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] ؛ أي: أن خَلْقَهُ وَفِعْلَهُ انتهىٰ إلىٰ السماء بعد أن رَتَّبَ الأرضَ علىٰ ما هِيَ عليه، وبالله ـ تعالىٰ ـ التوفيق، وهذا هو الحقُّ، وبه نقول؛ لصحة البرهان به، وبطلان ما عداه. انتهى كلامه.

هذا ما قاله ابن حزم ـ غَفَرَ الله لنا وله ـ، وَفَاتَهُ أَنَّ آيات الاستواء جَاءَتْ في القرآن علىٰ ثلاثة أساليب: أحدها: يَتَعَدَّىٰ بـ«على» وهو يفيد العلو، والثاني: يتعدىٰ بـ«إلى» وهو يفيد القصد، فمعنىٰ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩] ؛ أي: قصد إليها، والثالث: هو ما ذَكَرَهُ ابن

حزم[١]، وَنَقَلْنَاهُ عنه آنفًا.

نَسْأَلُ اللَّه أن يَمُنَّ علينا بالتمسُّك بالوحيَيْنِ، وأن يُجَنِّبَنَا طُرُق المحرِّفين للكلم عَنْ مَوَاضِعِهِ.

❑ وإليك تلو كُلِّ سؤالٍ جَوَابٌ:

س١ ـ تَدَّعُونَ أن الله في السماء، فأين كان رَبُّنَا قبل أن يَخْلُقَ السماء؟

(ج) نحـن لا ندَّعي ذلك من تلقاء أنفسنا؛ بَلِ الله أخبرنا بذلك، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

ولما كان القرآن عربيًا؛ فالصعودُ والرَّفْعُ لا يكونُ إلَّا من أسفل إلىٰ أعلى. وهذا ما تَدُلُّ عليه اللغة العربية، وهي لغة القرآن.

وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] . ونحن نَعْتَقِدُ ما جاء به القرآن والسُّنة من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ. وهذا ما كان عليه السَّلَفُ الصالح، وذلك طريق النجاة والسلامة.

أَمَّا ما يقولُهُ المؤوِّلون من أَنَّ قولَهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] يعني: شأنه في السماء. فنحن لا نُسَلِّمُ ذلك؛ بل إن ذلك يستلزمُ زيادةً في القرآن، والزيادة لا تكون إلَّا حَيْثُ يوجد النقص، والقرآن مُنَزَّهٌ عن ذلك، فكيف نَعْدِلُ عن الظاهر الصريح للنصِّ، ونأتي

---

(١) أي: في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص: الآية ١٤] . يَدُلُّ على ذلك رَدُّ الشيخ عبدالعزيز تأويلَ ابن حزم للاستواء في قوله ـ تعالى ـ: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: الآية ٥] بانتهاء خَلْقِهِ إليه.

بِحَشْوٍ في القرآن؛ لِنُصَحِّحَ به أقوال من يدَّعي العلم!! وَمَعَاذَ اللّٰه أن نَقُولَ بذلكَ أو نُجِيزَهُ، سبحانكَ هذا بهتانٌ عظيم.

أمّا أين كان رَبُّنَا قبلَ أن يَخْلُقَ السماء؟ فقد جاء في الحديث؛ أنه كان في عماء، ما فَوْقَهُ هواء، وما تحته هواء، ثم خَلَقَ العرش علىٰ الماء. هذا هو جَوَابُ الرسول ﷺ لأبي رزين، لما قال: يا رسول اللّٰه، أين كان رَبُّنَا قبلَ أن يَخْلُقَ السماوات والأرض؟. والحديث رواه الترمذي وابن ماجه.

هذا، ونحن غَيْرُ متعبدين بِالبحث عَمَّا وراء الغيب، ولا عَمَّا استأثر اللّٰه بِعِلْمِهِ؛ إذ لو كان ضروريًا لأَخْبَرَنَا اللّٰه بذلك في كتابِهِ، أو علىٰ لسان رسولِهِ ﷺ؛ فهو المُبَلِّغُ لما يُوحَىٰ إليه من رَبِّهِ دون تحريفٍ، وَإِنَّ البحثَ في ذلك وَغَيْرِهِ مما سَكَتَ عنه الرسولُ وأصحابُهُ ـ بَحْثٌ في الضلال، وسببٌ للوقوع في الضلالات؛ لأنه مِنَ القول علىٰ اللّٰه بلا عِلْمٍ، وَحَسْبُنَا ما وَرَدَ به الكتاب المنزل، والسُّنة الصحيحة؛ فَهُمَا طريقُ النجاة؛ لقولِهِ ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللّٰهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ»، ولقولِهِ ﷺ: «تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ المَحَجَّةِ البَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ».

س٢ ـ تدَّعون أنه استوىٰ علىٰ العرش استواءً محسوسًا؛ لما استوىٰ علىٰ العرش هل كَانَتِ السماءُ خاليةً؟

(ج) وكما قُلْتُ: إننا لا ندَّعي ذلك من تلقاء أنفسنا؛ بل تمسُّكًا بما أخبرنا اللّٰه ـ تعالىٰ ـ به في كتابه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]. في سبعة مَوَاضِعَ من كتابِهِ الكريم.

وإذا رَجَعْنَا إلىٰ معنىٰ ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾ في اللغة العربية، نَجِدُهُ بمعنى: استقرَّ، وَعَلَا، وَارْتَفَعَ. ولن تَجِدَ له مدلولًا بمعنى: استولى. وإذا استَشْهَدْتُم ببيتٍ من الشِّعر:

قَدِ اسْتَوَىٰ بِشرٌ عَلَىٰ العِرَاق مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مهراق

مُدَّعِينَ بأن «استوى» هنا بمعنى: استولى.

فنقول: إنَّ الاحتجاجَ باللُّغة العربية لا يَصِحُّ إلَّا متىٰ نُقِلَتْ عن أهلها الحقيقيين؛ وهم عرب ما قبل الإسلام، وأعني بهم: العرب الجاهليين؛ فَهُمْ أَهْلُ اللُّغة، هُمُ الحجة، وبلسانهم نَزَلَ القرآن.

أما الشاعر الذي تستشهدون بِشِعْرِهِ، فليس بِحُجَّةٍ؛ بل هو مولد، وليست لغةُ عصرِهِ حُجَّةً علىٰ العربية؛ حتىٰ نحتجَّ بكلامه.

وقولكم عَنَّا إننا نقول: (استوىٰ استواءً محسوسًا). فلا نَدْرِي ماذا تقصدون بنسبتكم إلينا هذه الصِّيغة اللفظية؛ إذ إننا نَعْلَمُ أن المحسوس هو ما يدرك بإحدىٰ الحواس الخمس، وذاتُ الله ـ تعالىٰ ـ أَعْظَمُ وأقدسُ من أن نُدْرِكَهَا بالتصوُّر المحسوس؛ سوىٰ ما سَمِعْنَاهُ عن طريق الوحيَيْن، وما عَلَّمنَاه الله في كتابِهِ وفي سُنَّةِ رسوله ﷺ، وإنا لَنُؤْمِنُ بالصِّفات علىٰ حَقِيقَتِهَا كما جاءت بها النصوص.

فنقول في الاستواء: إنه استواءٌ يَلِيقُ بجلالِ الله وعظمتِهِ؛ من غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ، ومن غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ.

وأما قولكم: لما استوىٰ علىٰ العرش هل كانت السماء خالية؟

فَلْيَسْمَحْ لي زميلي أَنَّ هذا إِنْ دَلَّ علىٰ شيءٍ؛ فإنما يَدُلُّ علىٰ بَلْبَلَةِ الفِكْرِ واضطرابِهِ، وعلىٰ الجهل بالسؤال قَبْلَ الجهلِ بجوابِهِ، ولو صَحَّ أن أُسَمِّيَهُ سؤالَ تعنُّتٍ لَوَصَفْتُهُ بذلك، بَيْدَ أَنِّي أَجِدُهُ لا يستحقُّ هذا الوصف.

فاستواءُ اللَّه علىٰ عرشِهِ لا يلزم منه خُلُو السماء أو عمرانها ـ مع أنها عامرة بالملائكة ـ، وقد ورد في الحديث: «وَلِكُلِّ سَمَاءٍ سُكَّانُهَا».

وفي الحديث: إذا قَضَىٰ اللَّه الأَمْرَ في السماء، ضَرَبَتِ الملائكة بِأَجْنِحَتِهَا؛ خضعانًا لقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]. وكذلك حديث المعراج فيه ما يَشْهَدُ لذلك، وكذلك قوله ﷺ: «أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ قَدَمٍ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ» مع أن اللَّه فوق سماواتِهِ مُسْتَوٍ علىٰ عرشِهِ، فهو بائنٌ من خَلْقِهِ، ولا تَخْفَىٰ عليه خافية، وقد وَسِعَ عِلْمُهُ كُلَّ شيءٍ؛ حتىٰ إنه يَسْمَعُ دبيبَ النملة في الصخرة الصماء، وقد أَحَاطَ بِكُلِّ شيءٍ علمًا، وإني أُنَزِّهُ رَبِّي عَمَّا يقول الجاحدون علوًّا كبيرًا.

س٣ ـ أين هو الآن: مُسْتَوٍ علىٰ العرشِ أم في السَّمَاءِ؟

(ج) الذي نَعْلَمُهُ من الكتاب والسُّنة: أن العرش فَوْقَ السماء السابعة، واللَّه فوق العرش لا يَخْفَىٰ عليه شيءٌ من أعمال بني آدم؛ لذا فهو فوق سماواتِهِ مُسْتَوٍ علىٰ عَرْشِهِ، وإليه أَتَّجِهُ في صلاتي ودعائي كما كان ﷺ يفعل، فقد كان يَدْعُو وَيَرْفَعُ رَأْسَهُ ويديه إلىٰ السماء؛ حتىٰ يرىٰ بياض إِبْطِهِ.

وحديثُ الجارية لما سَأَلَهَا ﷺ، فقال: «أَيْنَ اللَّه؟» قالت: في السماء. قال: «مَنْ أنا؟» قالت: أنتَ رَسُولُ اللَّه. قال: «اعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ».

أم تُرِيدُ أن تقولَ ما قاله غيرك مِمَّن ناقشتُهُم؟ يقولون: إنه ﷺ لم يُنْكِرْ عليها؛ لأنها جارية، وقد جارَاهَا علىٰ قَدْرِ معرفتها. سبحانكَ ربي! لستُ أعلمُ لذلك معنىٰ إلَّا الطعن في حقِّ المعصوم ﷺ، الذي أُنزل عليه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] .

تُرَىٰ هَلْ يُقِرُّ الرسولُ ﷺ جاريةً علىٰ الخطإ، وهو في مقام التعليم والبيان في وقت الحاجة، وتأخيرُهُ لا يجوزُ كما هو معروفٌ في الأصول؟! لستُ أعتقدُ إلا أنه أَقَرَّهَا علىٰ الحقِّ لما نَطَقَتْ به، ولستُ أدري ما يقولون في حديث زينب؛ لما قَالَتْ لنساء النبيِّ ﷺ: «زَوَّجَكُنَّ أَهْلُكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّه من فَوْقِ سَبْعِ سماوات».

وأما الآن، ومتىٰ و كيف؛ فلا نَقُولُ بشيءٍ من ذلك عن اللَّه؛ لأن ذاتَهُ وصفاته أَقْدَسُ من أن نُكَيِّفَهَا أو نُمَثِّلَهَا.

س٤ ـ مَهْمَا كان كبر السماء فهو محدود؛ فَهَلِ اللَّه كذلك محدود؟

(ج) هذا القياس والإلزام لا يَصِحُّ إلا فيما يتصوره العقل، أو ما يمكن إدراك كُنْهِهِ؛ واللَّه ﷻ أَجَلُّ من أن نَتَصَوَّرَهُ أو تُدْرِكَهُ عقولنا، وَحَسْبُنَا أن نؤمنَ بما جاء عن اللَّه في كتاب اللَّه، أو ما جاء عن اللَّه علىٰ لسان رسول اللَّه ﷺ، أَمَّا التعنُّت ومحاولة القَوْلِ علىٰ اللَّه بلا علمٍ، فَلَسْنَا من أربابِهِ؛ بل إِنَّ ذلك

من دَسَائِس علماء الكلام، وأعداء الإسلام من الفلاسفة والزنادقة.

وليتنا تَمَسَّكْنَا بما تَمَسَّكَ به علماء الإسلام مِنَ السَّلَف الصالح، وناهيك بمقالة الإمام مالك والإمام أحمد ـ رحمهما الله ـ: **«الاستواءُ معلومٌ، والكَيفُ مجهولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بِدْعَةٌ»**.

وقالوا ـ أيضًا ـ: لا يَقُولُ في ذَاتِ اللَّه: أين، ومتى، وكيف. إلَّا شاكٌّ في دِينِهِ، مُكَذِّبٌ لله ولرسوله ﷺ.

س٥ ـ عندما تقولون: إنه في السماء. تنسبون له الجهة والإشارة، وهي من صفات الحوادث؛ فكَيفَ الخلاصُ من ذلك؟

(ج) أسلفتُ لَكَ أننا لم نَقُلْ ذلك اختِلَاقًا وافتراءً؛ بل تمسُّكًا بالنصِّ الوراد في ذلك من كتاب اللَّه، وسُنَّةِ رسوله ﷺ، وتقدَّم بالتفصيل في جوابنا عن السؤال الأسبق. وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [البَقَرَة: ١٤٤] . رَاجِعْ تَفْسِيرَهَا، وَسَتَجِدُهُ في المقرَّر دراستُهُ في الكلية، وَارْجِعْ إلىٰ حديث الإسراء والمعراج، مع كلام أهل السُّنة، وإذا قلتُ: «أهل السُّنة» فأعني: علماء الحديث والسَّلَف الصالح؛ لِعِلْمِي بأن أهل السُّنة تُطْلِقُونَهُم علىٰ الأشاعرة مقابل المعتزلة.

ثمَّ لِيَسْمَحْ لِيَ الزميل أن أُنَاقِشَهُ في سؤالِهِ.

قلت: إننا باعتقادنا عُلُو اللَّه ـ تعالىٰ ـ فوق سماواتِهِ، ننسب له الجهة والإشارة، وهي من صفات الحوادث؛ أَلَا ترىٰ أنكم تَعْتَرِفُونَ بالصفات السبع، فتقول: حَيٌّ، سميعٌ، قَادِرٌ. فهل معنىٰ ذلك أنكم تنسبون له صفات تُشْبِهُ صفات الحوادث؟! كَلَّا؛ إِنَّ عُلُوَّ اللَّه وَإِنْ لزم منه إثبات

الجهة، لم نَقُلْ به إِلَّا إيمانًا وتصديقًا للكتاب والسُّنة.

وقد عَلَّمَنا رسولُ اللَّه ﷺ جهة الدعاء والإشارة؛ بالوحدانية لله رَبِّ العالمين في الصلاة، وليس بلازمٍ علىٰ تسمية المخلوق حيًّا، وسامعًا، ومبصرًا، وقادرًا ـ أنه يُشْبِهُ صفاتِ اللَّه ـ تعالىٰ وتقدس ـ؛ فاللَّه حيٌّ دائم، وسميعٌ، وبصيرٌ، وقادرٌ؛ سَمْعًا، وَبَصَرًا، وَقُدْرَةً تَلِيقُ بجلالِهِ وعظمتِهِ؛ لا نُكَيِّفُهَا، ولا نمثلها بصفاتنا؛ بل إِنَّ من قواعِدِ الدِّين وأصول العقيدة لَدَيْنَا أَنَّ مَنْ شَبَّهَ اللَّه بِخَلْقِهِ؛ فهو كافرٌ.

س٦ ـ أَخبَرَنَا ﷺ أَنَّ اللَّه يَنزِلُ إلىٰ السماء الدنيا كُلَّ ليلةٍ. وعلىٰ مَذْهَبِكم: التأويلُ تعطيلٌ. فإنه إِذَا يَنْزِلُ من جهة السماء إلىٰ جهة الأرض، فيكون مُنتقِلًا في نَفس الأمر من جهةٍ إلىٰ جهة؛ أليس كذلك؟ أَفِيدُونا.

(ج) نؤمن بما جاءَ في الحديث: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا**». فلا نُكَيِّفُ أو نُمَثِّلُ نزولَهُ بنزول خَلْقِهِ؛ بل نقولُ: ينزلُ نزولًا يَلِيقُ بجلالِهِ، ونزولُهُ إلىٰ السماء الدنيا نزولُ ذَاتِهِ ـ تبارك وتعالىٰ ـ.

وَأَمَّا قولكم: إنه إِذَا ينزلُ من جهة إلىٰ جهة، فَلَسْتُ أَفْهَمُ منه سوىٰ أنه محاولةٌ لردِّ النصوص وتكذيبها، أو تأويلها حَتَّىٰ يَصِحَّ ما يقوله أَهْلُ الكلام، فَتُؤَوِّلُونَ النصوصَ لِتُوَافِقَ آراء المخطئين.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كتابةٌ قيمةٌ علىٰ حديث النزول؛ لم يَدَعْ شبهةً لكم إِلَّا أجابَ عنها، فيا حَبَّذَا لَوِ اطَّلَعْتُم عليها.

وليس لكم بُدٌّ من أَحَدِ أَمْرَيْن: فَإِمَّا التسليم والتصديق بما جاء في

الكتاب والسُّنة، والإيمان به من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ؛ خصوصًا ما تعلَّق بصفات الباري ـ تعالىٰ ـ. وَإِمَّا أن تُؤَوِّلُوا وَتُحَرِّفُوا، ويلزم منه نَقْصُ القرآن في رأيكم، أو أنه ليس بِمُحْكَم، فَتُكْمِلُونَ نَقْصَهُ بالتأويلات والتعسُّفات المصطنعة، هذه التأويلات الَّتي تلجئون إليها خَوْفًا من التشبيه، وتقعون ـ عالمين أو غير عالمين ـ في التعطيل.

والأولُ مِنَ الأَمْرَيْنِ ـ وهو طريقُ النجاة ـ: أن نُؤْمِنَ باللَّه، وما جَاءَ عَنِ اللَّه عَلىٰ مراد اللَّه، وبما جاء عَنِ اللَّه علىٰ لسانِ رَسُولِ اللَّه ﷺ، علىٰ مُرَادِ رسول اللَّه.

وَأَمَّا التأويل عندنا؛ فهو إِنْ لم يَكُنْ تحريفًا ليس بتعطيلٍ، اللَّهُمَّ إِلَّا إذا كان قَصْدُكَ تعطيلَ النصِّ، أو تجريدَهُ من معناه؛ فذلك قد يكون جائزًا.

س٧ ـ نحن وأنتم مُتَّفِقُونَ بأنه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] . **فَهَلَّا تَرَوْنَ وجودَهُ في السماء يكون مقاسًا بالسماء، فيشابهه في المقاس، وهي صِفَةُ إثباتٍ لا صفة نفي.**

(ج) هذه الآيةُ هي حُجَّتُنَا في تَنْزِيهِ اللَّه عن مشابهة خَلْقِهِ، كما أَنَّ آياتِ الصفات وأحاديثها هي حُجَّتُنَا في إثبات الصفات الواردة فيهما دون تعطيلٍ أو تشبيهٍ؛ فَيَجِبُ علينا جميعًا أن نُؤْمِنَ بالقرآن جميعه؛ محكمه ومتشابهه، ومجمله ومبينه؛ حتىٰ لا نكون مِمَّنْ قال اللَّه فيهم: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ﴾ [البَقَرَة: ٨٥] الآية.

وَحَسْبُكَ مَا دَلَّتْ عليه آية ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١] ؛

فَهِيَ تَنْفِي عن اللَّه النِّدَّ والشَّبِيهَ، ولكنها لا تَرُدُّ ما جاء في الآيات والأحاديث؛ بل تُقِرُّهَا وتؤيدها.

وإذا كان كذلك؛ فَيَجِبُ علينا أن نؤمنَ بما آمَنَ به أهل السُّنة والجماعة من السَّلَفِ الصالح ـ رحمهم اللَّه ـ، فنؤمن بآيات الاستواء، والعلو، والإرادة، والقدرة، والرحمة، والرضا، والغضب، والكلام، وكل ما جاء في كتاب اللَّه أو سُنَّةِ رسولِهِ ﷺ.

أما قولك: إِنَّ وُجُودَهُ في السماء يكون قياسًا بالسماء...إلخ. فلا أَسْتَطِيعُ اختراقَ هذا الكلام الذي لا يَفْهَمُ معناه سوىٰ قائلِهِ، وقد لا يَفْهَمُهُ قائله؛ فَلَعَلَّهُ قد نقل الكلام نقلًا دون فَهْمٍ لمعناه، ولولا ثبوتُ ذلك؛ فَمَا وَجْهُ ارتباطِ المقاس والشبه بصفةٍ تقول: إنها صفةُ إثباتٍ لا صفة نفي. وحقيقة؛ فلا أدري: هل تَقْصِدُ بصفة الإثبات هنا مدلول الآية، أم مشابهته ـ تعالىٰ وتقدس ـ بالمقاس كما تُحَاوِلُ إلزامنا به؟!.

وَلَعَلَّ مِنَ الحكمةِ الإمساكَ عن التمادي في مناقشة هذا السؤال المفكَّكِ الألفاظ، الركيكِ الأسلوب، المتنافرِ المعاني.

وَحَسْبُنَا بالكتاب والسُّنة نبراسًا نهتدي به، وَفِيهِمَا النجاة والفوز في الدَّارَيْنِ.

وصلَّىٰ اللَّه علىٰ سيدنا محمدٍ وآلِهِ وَصَحْبِهِ أجمعين.

❀ ❀ ❀

فهرس المحتويات

تم الجمع والصف بمكتب الرضا للدعاية والإعلان

١٥ ش امتداد رمسيس بجوار وزارة المالية ـ عمارات صف الضباط ـ مدينة نصر ـ القاهرة

٠٢٣٤٢٨٨٢٩ ـ ٢٣٢٠٢٥٤(٠٨٢)، محمول: ٠١٠١٤٦٠٨٦١